الفصل الثالث

الليبيون بين المهجر والاستقلال

المبحث الأول

الليبيون في المهجر

هاجر الليبيون إلى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والأردن ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا، وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض، وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع إلى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لها بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.

أولاً - قال الشاعر أحمد رفيق في هذه المعاني:

كادت تطير بأضلعي أشواقي ... يوم الفراق فهل يكون تلاقِ

ودعته والله يعلم أنني ... ودعت راحة قلبي الخفاق

لو كان قبل يوم قيامة ... كان الفراق قيامة العشاق

وطني من الإيمان حبك ليس لي ... من عليك وأنت ذو استحقاق

ويقول أيضاً:

يا أيها الوطن المقدس عندنا ... شوقاً إليك فكيف حالك بعدنا؟

كنا بأرضك لا نريد تحولا ... عنها ولا نرضى سواها موطنا

في عيشة لو لم تكن ممزوجة ... بالذل كانت ما ألذ وأحسنا

عفنا رفاة العيش فيك مع العدا ... وأبى شمم النفوس وعزنا

إلى أن يقول:

جعلوك مسخرة بأيدي صبية ... لا يبعدون عن الحمير تمدنا
قالوا لنا جئنا نمدن أرضكم ... أين التمدن والذي قالوا لنا؟
هدموا من الأخلاق في أوطاننا ... أضعاف ما شادوه فيها من بنا[1]

ثانياً - وقال الأستاذ محمد الطيب قصيدة فاضت من الشعور لا من الشعر:

قال رحمه الله:

ما جنة الحسن إلا في طرابلس ... عهدي به وسناها مشترق عال
يا برقة الخير يا دار الأحبة ما ... أقسى الفراق بقلبي يوم ترحال
وصوت ذكرك (يا برقا) يردده ... قلبي فيشغلني عن كل أشغالي
نار الفراق لها في مهجتي شرر ... لولا الدموع لأوهت جسمي البالي
دار الأحبة لا أبغي بها بدلاً ... فلا بمصر ولا بالشام آمالي
ولا العراق ولا صنعا تغيرني ... عن حب (برقة) ولا الخضراء تحلو لي
ولا دمشق ولا الدنيا بأجمعها ... أنس بها برقة الفيحاء من بالي
فهي النعيم إذا ما جئت أذكرها ... طاب المقام بها في عصري الخالي
حصباؤها ذهب والتبر تربتها ... وماؤها من رحيق الشهد سيال
وأهلها عرب قعساء همتهم ... شادوا المفاخر جيلاً بعد أجيال
الدهر يعرفهم أسداً غطارفة ... في حالة الجد لا في القيل والقال
عرّج بها يا رعاك الله في أسف ... وأروي الربوع بدمع منك شتال[2]

ثالثاً - وأما الجهاد بشير بك السعداوي فقد قال:

قالوا: تحن إلى بلاد وأهلها؟ ... فأجبتهم هي بغيتي ومرادي
تالله لم أشغف بغير طلالها ... ولا منيتي مالت لغير بلادي
في حب هاتيك الديار وأهلها ... ذابت حشاشة مهجتي وفؤادي
بالله يا ريح الصبا ونسيمه ... إن زرت يوماً منزلاً لسعادي
أبسط لها شوقي وفرط صبابتي ... وأهد تحياتي لها ووداد
وأخفض جناح الذي عني وقل لها ... أسرفت في هجري وفي إبعادي

(1) انظر: برقة العربية، ص(531، 532).
(2) انظر: المصدر نفسه، ص(532، 533).

حر النوى أوهى فؤادي وإنني ... متهتك متمزق الأكبادي
مذ غردت بالبين أغربه النوى ... من بيننا ما ذقت طعم رقادي
أمسى سميري في الدجى بدر السما ... والبدر جسم لا يجيب منادي
فلطالما ناديت في غسق الدجى ... حبي فتذهب صيحتي في وادي
لهفي على تلك الديار وأهلها ... قوم لهم في المكرمات أياد
لا زلت أصبو بحبهم ووادهم ... رغم على أنف الزمان العادي[1]

وقال أيضاً:

يا حاد الركب حث السير في عجل ... نحو المواطن بين السهل والجبل
وقف بذاك الحمى والأربع الدرس ... وجول الطرف الآكام والقلل

إلى أن يقول:

عهدي به وأسود الليل رابضة ... حول الكنائس لها غاب من الأسل
واليوم قد أصبحت والذل رائدها ... وتشتكي دولة الأوغاد والسفل
قوم أحلوا بها لا أصل يردعهم ... ولا خلاق سوى الفحشاء والزلل
ظنوا بأن وعدوا أنا نصدقهم ... وعندنا وعدهم كذباً بلا خجل
لا تيأس يا ربوع العز وانتظري ... فإن دولتهم من أنقص الدول[2]

لقد ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر، ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطاليا ذرعاً وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي الذي قال في حقه الجنرال غراسياني: (إذا أردنا أن نقضي مرة واحدة على العصيان يجب أن يغيب إدريس من عالم الوجود، فإذا مات هو مات معه التمرد والعصيان، يجب لتحقيق هذا أن نضغط على مصر حتى تسلمه لنا أو نقضي المهمة وراء ستار)[3] وأما في بلاد الشام فقد ظهرت جهود بشير السعداوي واضحة العيان، فقد قام مع إخوانه الميامين بصور شتى من صور الجهاد، فقد شمروا عن ساعد الجد والعمل، فتأسست في دمشق في عام 1928م (جمعية الدفاع الطرابلسي والبرقاوي بالشام) وانتخب بشير السعداوي رئيساً لها وكانت هذه الجمعية تضم إليها مجموعة من المجاهدين كسكرتير الجمعية عمر فائق شنيب (بك)، وأمين الصندوق فوزي النقاش ثم عبد الغني الباجقمي، وكامل عياد، وعبد السلام أدهم، والبمباشي طارق، ومحمد ناجي التركي، ومصطفى بن نوح، وأحمد راسم، وأبو بكر قدوره، وأبو بكر التركي، وخليفة بن شعبان، وعمل هؤلاء الأخوة الأبطال جميعاً على إعداد البحوث التي تكشف عن

(1 - 3) انظر: برقة العربية، ص(531).

أعمال الطليان وفظائعهم في القطر الليبي، وصاروا ينشرونها في الصحف والجرائد والمنشورات، وأظهر بشير السعداوي نشاطاً واسعاً ونشر بحوثاً ومقالات كثيرة، وسار عمر فائق شنيب على نفس المنوال، وفي عام 1929م وضعت الجمعية الميثاق الوطني المشهور للشعب الطرابلسي البرقاوي؛ فنصت المواد على التالي:

المادة الأولى: تأليف حكومة ذات سيادة قومية لطرابلس وبرقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة.

المادة الثانية: دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد.

المادة الثالثة: انتخاب الأمة مجلساً نيابيًا حائزاً على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور.

المادة الرابعة: اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.

المادة الخامسة: المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطر في جميع أرجائه.

المادة السادسة: العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية منتخبة.

المادة السابعة: العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

المادة الثامنة: تحسين العلاقات والمصالح بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة خاصة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي[1].

وقامت الجمعية بفتح فرع لها في تونس عام 1930م برئاسة محمد عريقيب الزليطني، وحققت الجمعية بعض النجاحات الكبيرة، وكان الأمير إدريس السنوسي قد أولى عنايته الخاصة، وأمدها بالمساعدات القيمة، فيرسل لها الإعانات المالية حيناً وبالمعلومات والأخبار الجديدة عن القطر الليبي حيناً آخر، وتمكنت الجمعية من دعم مركزها ومتابعة النشر والقيام بحملة صحفية واسعة تهيب بالأمة الإسلامية والعربية أن تنهض للوقوف بجانب الشعب الليبي بكل الطرق. ونشرت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية نص الميثاق وقدمت له بنداء خاطب فيه مواطنيها في الأقطار العربية، جاء فيه: (أيها الإخوان الأعزاء: إن الواجب يقضي عليكم أن تعملوا لخير بلادكم وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم وأن تؤلفوا في كل قطر تسكنونه (جمعية) تلم شعثكم وتجمع شملكم وأن توطنوا نفوسكم على التضحية والقيام بالواجب الوطني؛ فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً؛ وارفعوا أصواتكم بالشكوى مما تلاقيه أمتكم البائسة من مظالم الإيطاليين واملؤوا الصحف بالمقالات والفضاء بالاحتجاجات وانشروا النشرات، وقفوا للحوادث بالمرصاد وانتهزوا الفرصة وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع؛ فالفكرة الناضجة تكوّن الأمم وتبعث فيها روح اليقظة والانتباه؛ ثم ربوا نشأكم على حب

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(373).

الوطن، والحرية والاستقلال أرضعوهم هذه المبادىء مع اللبن وانفثوها في صدورهم منذ عهد الصبا ونعومة الأظفار، علموهم مناقب السلف الصالح وأبطال التاريخ والفتح الإسلامي فإنها تبث في نفوسهم علو الهمة وروح الشهامة والمبادىء الوطنية، وليكن شعاركم الاستقلال وتخليص وطنكم من الأغلال، وفكروا في الوسائل التي تقربكم من هذه الغاية الشريفة؛ فإن الدولة الإيطالية مهما اشتد بها الصلف والغرور إذا رأتنا أمامها أمة ناهضة منتشرة في الآفاق واقفة لها بالمرصاد تحارب الظلم والاستبداد ولا تدين لسنن الاستعمار والاستعباد لا بد أن تذعن لمطالبنا الحقة ولميثاقنا القومي الذي عاهدنا الله على تحقيقه ببذل النفس والنفيس والله مع الصابرين)[1].

لقد استطاعت الجمعية أن توسع دائرة نشاطها، وطلبت من شكيب أرسلان في عام 1929م أن يقف معها لما كان بالحجاز، ولبى الأمير شكيب نداء الليبيين وشرع في نشر مخازي ومظالم الطليان في الصحف والمجلات العالمية والعربية وفي نشرات صغيرة حتى يسهل تداولها وحققت مقالات شكيب هدفها وانتبه العالم الإسلامي لما يفعله الطليان في ليبيا بسبب مقالاته الرائعة التي دبجها بقلمه السيال.

واستمرت الجمعية في نشاطها وتوالت نشراتها تَصِفُ فظائع الطليان، وتحذر الأمة من تصديق دعايتهم الكاذبة المغرضة وتسوق الحجج والبراهين والأدلة على انتهاك أبسط حقوق الإنسان في ليبيا، وتفننت في ابتكار وسائل عدة لإيصال هذه النشرات إلى داخل ليبيا وبذلت جهوداً عظيمة لتوزيع نشراتها في جميع أنحاء العالم العربي، لقد نجحت في حرب الأقلام وشاركت في المؤتمر الإسلامي في القدس وعرضت قضيتها وهذا نص الوثيقة التاريخية التي قدمتها:

رابعاً - وثيقة تاريخية عن القضية الطرابلسية البرقاوية تقدمت بها الجمعية الطرابلسية البرقاوية للمؤتمر الإسلامي في القدس:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

منذ أن أخذ الأوروبيون يشنون الغارة على البلاد الإسلامية بحجة الاستعمار لم تفجع بلاد إسلامية - بعد الأندلس - بمثل ما فجعت بطرابلس - برقة - تلك البلاد التي منذ سطا الإيطاليون وسيوف نقمتهم، لم تبرح أعناق أهلها بدون رحمة ولا شفقة، حتى آلت إلى مجزرة تمثل فيه أفظع الأدوار الهجمية.

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(374).

لا نريد أن نطيل البحث في مناقشة الوسائل التي تذرعت بها الدولة الإيطالية لاحتلال طرابلس - برقة - التي لا تربطها بها أية علاقة، ونكتفي هنا بنظرة عامة في تطور القضية الطرابلسية منذ الاحتلال الإيطالي إلى يومنا هذا، إذ أن المجال لا يسمح بسرد جميع الحوادث مفصلة:

لقد أغارت الدولة الإيطالية على القطر الطرابلسي - البرقاوي في 5 تشرين الأول سنة 1911م على حين غفلة من أهلها، وكان مع خلوه من المعدات الحربية لم يكن به من الحماية العثمانية سوى ثلاثة آلاف جندي مبعثرين في عدة مناطق، بيد أن سكان تلك البلاد الذين كلهم كتلة عربية - إسلامية واحدة قد فطروا على عزة النفس والإباء ولذلك قاموا في وجوه الغاصبين قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم ويذودون عن حياتهم بقلوب ملؤها الإيمان بالله والاعتماد عليه.

واستمرت الحرب سنة كاملة لم تتمكن من خلالها الجنود الإيطالية من التقدم شبراً عن مرمى مدافع أسطولهم، إلى أن اضطرت الدولة العثمانية إلى عقد صلح مع الإيطاليين منحت فيها الطرابلسيين استقلالهم الإداري وسحبت جنودها وهي مرغمة.

وعقب ذلك أخذ الإيطاليون يدعون أهالي البلاد إلى السكينة ويظهرون لهم حسن النية لخير تلك البلاد فوضعت الحرب أوزارها وألقى أكثر أهالي طرابلس وبرقة السلاح وعادت السيوف إلى أغمادها، ولكن رجال الدولة الإيطالية ما كادوا يظفرون بتجريد الأهالي من السلاح حتى قلبوا لهم ظهر المجن وأخذوا يسومونهم سوء العذاب وينتقمون من كل من حرض الناس على قتالهم، فيخلقون لهم تهماً واهية ويزجون بعضهم في أعماق السجون ويرمون بالبعض إلى جزر إيطاليا.

فثارت ثائرة القوم من تلك الأفعال المنافية للعهود والمناقضة للوعود، فانقضوا على إيطاليا، وكان أول وقعة دموية جرت وقعة تسمى بوقعة (القراضابية) وهو مكان قرب خليج سرت، جرت تلك الوقعة في أوائل سنة 1914م أضاع فيها الإيطاليون ما ينيف على (8000) جندي، وعقب ذلك ازداد حقد الإيطاليين على الأهالي فانهالوا على العرب بالقتل والتعذيب فقتلوا في يوم واحد من الأعيان ورؤساء القبائل رمياً بالرصاص 300 نسمة في فضاء سرت وأخذوا يقتلون الأبرياء والشيوخ والأطفال والنساء والرجال.

وعلى أثر ذلك اشتعلت في بلادنا حرب سرى لهيبها في كل ناحية من النواحي وظلت الفتن تتقد إلى أن نشبت الحرب العالمية، فأرسلت الحكومة العثمانية بعض القواد العسكريين منهم نوري باشا شقيق أنور باشا الشهير، عندئذٍ اضطرت الجنود الإيطالية أن تنسحب من كل المواقع التي شغلتها أثناء السلم وتتحصن في مدينة طرابلس، زواره، الخمس، بنغازي، درنة،

طبرق، إلى أن انتهت الحرب الكبرى فخرجت إيطاليا منها وعسكرها منهوك القوى لما لاقى من الهزيمة تلو الهزيمة في ساحات أوروبا.

ورغم ذلك ساقت عدة فيالق من جيوشها إلى طرابلس - برقة - وجهزت منهم مائة ألف جندي زحفت بهم على خطوط المجاهدين في منطقة طرابلس.

وما كادت تدور رحى الحرب بين الفريقين حتى انهزم ذلك الجيش العرمرم شر هزيمة، وغنم المجاهدون منهم أسلحة ومعدات حربية كثيرة.

ولما باءت الدولة الإيطالية في تلك التجربة بالفشل، وعلمت أنها غير قادرة على إخضاع الشعب بقوة الحديد والنار عمدت إلى التضليل والتمويه فسنت قانوناً سمته «القانون الأساسي» وأعلنته في سنة 1919م، ومع أنه جاء غير ضامن لحقوق الأهلين فقد قبلوا به بغية حقن الدماء وراحة الفريقين، وانتظروا من رجال الحكومة الإيطالية تنفيذه ثم ما لبث أن ظهر أنهم اتخذوه غشاوة على أعين الناس وأخذوا يبثون بذور الفساد من وراء الحجب ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الأموال والسلاح والذخائر الحربية لإيقاد نار الفتن بين الأهلين والتفريق بين الوطن وبين الأخ وأخيه.

وكادوا يصلون إلى رغباتهم ويوقعون البعض في تلك الحبائل التي نسجتها أياديهم الأثيمة، لولا أن عقلاء البلاد أدركوا تلك الدسائس وتلافوا الأمر بعقد مؤتمر عام في مدينة غريان ضم نخبة من رجالات البلد في سنة 1920م فتبادلوا الآراء وفكروا فيما ينقذ البلاد من الفتن والفوضى.

وكان الجيش الإيطالي وقتئذٍ كما ذكرنا منحصراً في بعض المدن الساحلية وبعد المداولة في جلسات متوالية قرروا بالإجماع ما يلي:

إن الحالة التي آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة ومؤسسة على ما يحتمه الشرع الإسلامي من الأصول تحت زعامة رجل مسلم منتخب من الأمة، لا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس النواب، وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة.

وقد تناقش المؤتمر في أن ذلك لا يتنافى مع منافع دولة إيطالية التي جاءت إلى وطننا من أجلها، مع اللزوم القطعي لراحتنا وسلامتنا، وبين ثقته في أن الشعب الإيطالي لا يرضى في هذا الزمن الذي تنال فيه كل الأمم أكبر أمانيها، أن يقيم نفسه من أجل مطامع وأوهام فئة المستعمرين عقبة في سبيل النظام والأمن والعدل في طرابلس الغرب، ولذلك لا تزال للأمة ثقة في أن تسعف بضروریاتها، وأن لا تصادم في أمنية لا ترضى ولا يستقر لها حال بغيرها.

وقد أُنبنا للمطالبة بذلك وفداً من حضرات نوري بك السعداوي، ومحمد خالد بك القرقني ومحمد فرحات بك، ومحمد الصادق بك ابن الحاج ليراجع كل مصدر يرى ضرورة مراجعته لتحقيق الغاية المذكورة في القرار المبين أعلاه داعين المولى جل شأنه أن يوفقهم وأن يحقق أماني أمتنا.

حرر في 6 ربيع الأول سنة 1339هـ

ثم انتخب المؤتمر هيئة حكومية عهد إليها إدارة شؤون البلاد الداخلية التي عمت فيها الفوضى بسبب الفتن التي خلقها رجال الحكومة الإيطالية، وذهب الوفد المشار إليه في ذلك الحين إلى رومية ليبلغ حكومتها ما أجمع عليه الشعب من المطالب وأخذ يراجع المقامات الرسمية وغير الرسمية فلم يكن حظه من رجال الحكومة الإيطالية سوى الإعراض والاستخفاف بمهمته.

أما هيئة الحكومة الوطنية التي عهدت إليها إدارة شؤون البلاد فإنها أخذت في إقرار دعائم الأمن وتنظيم الشؤون الإدارية كالدوائر المالية والقضائية وتنظيم الجيش لما سيحدث من الطوارىء، فساد الأمن ورجعت الطمأنينة بعد الخوف الذي استولى على النفوس وانصرف الأهلون إلى معائشهم ومصالحهم.

أما منطقة بنغازي فإن نوري باشا الذي أوفدته الحكومة العثمانية إليها خلال الحرب العالمية حمل الأهالي على التعرض على القطر المصري وهي خطة رسمتها وزارة الحربية العثمانية فجهز جيشاً مؤلفاً من (5000) مجاهد بالاتفاق مع السيد أحمد الشريف السنوسي وتجاوزوا به الحدود المصرية وترك السيد أحمد الشريف وكيلاً عنه في برقة ابن عمه السيد إدريس السنوسي.

ولما دخل المجاهدون الحدود المصرية اصطدموا بالجيوش الإنكليزية وبعد حروب بين الفريقين تراجع المجاهدون بصورة غير منظمة وخلال ذلك عمت الفاقة منطقة برقة واشتدت المجاعة.

فرأى السيد إدريس من الحكمة أن يعقد هدنة مع الإيطاليين وأوقفت رحى الحرب وبعد انتهاء الحرب الكبرى بايعه الشعب البرقاوي بالإمارة ووافقت على ذلك الحكومة الإيطالية بمقتضى معاهدة عقدت بين الفريقين.

بيد أن رجال الحكومة الإيطالية - كعادتهم في كل عهد يعقد معهم - أخذوا ينقضون العهود، فاضطر الأمير السيد إدريس أن يوحد مساعيه مع حكومة طرابلس الوطنية وعقدت الاتفاقية بين الفريقين المعروفة باتفاقية (سرت) المتضمنة توحيد القطرين الشقيقين والتضامن

على المطالبة بحقوقهما معاً، وتنص المادة الخامسة من هذا الاتفاق على توحيد الزعامة وتنصيب أمير واحد للقطرين.

وما كادت هذه الاتفاقية تتم حتى هاجم الإيطاليون سواحل مصراته في منطقة طرابلس سنة 1922م، فأعلنت الحكومة الوطنية الحرب في كل المناطق واستمرت الحرب بشدة هائلة ثلاثة أسابيع عجز الإيطاليون خلالها عن التقدم ولو كيلومتراً، وضحت البلاد بألوف الخلق في سبيل الدفاع، كما أن الإيطاليين خسروا أضعاف ذلك؛ لأنهم كانوا المهاجمين، ولما أيقنوا بالخيبة والفشل طلبوا توقيف القتال بغية التفاهم وانتدبوا للمذاكرة السنيور (بيلا) والسنيور (رابكس) وخرجا في الموعد المضروب الذي قررته الحكومة الوطنية في مكان يسمى (فندق الشريف) وقد كتبت الحكومة الوطنية للوالي الكتاب الآتي:

(باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة والتفريق حدثت في البلاد حالة فوضوية وقفت الحكومة الإيطالية أمامها موقف المتفرج فاضطرت الأمة إلى عقد مؤتمر في غريان بلغت مقرراته الصائبة إلى الحكومة وأرسلت وفدها للمطالبة بما أجمع عليه المؤتمر فلم يكن حظه إلا الإعراض والاستخفاف بمهمة ذلك الوفد مع استمرارها على خطة المراوغة والتفريق.

ولما حال الحوار على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية والحكومة مصرة على تلك السياسة المنفردة. وتحقق أهل القطرين طرابلس - برقة - أن حياتهما محفوفة بالخطر في الحال والاستقبال، وأن ما داهم أحد القطرين لا بد أن يحيق بالآخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية لا سيما أن إدارتهما إلى عهد الاحتلال واحدة، عندئذٍ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والآراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الإخاء ويسهل سير الأمتين العربية والإيطالية في سبيل الحياة الاقتصادية مع المحافظة على حق إيطاليا السياسي.

فقرر الفريقان بالإجماع في سرت اتفاقية من جملة فصولها المطالبة بتوحيد إدارة القطرين، وهو الحل النهائي الذي لا يبقى معه ريب لهذه القضية المعضلة التي لا تريدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد إلا تحكيماً في عقد الخلاف، فتصبح من الأمراض المزمنة ويعسر حلها فضلاً عما تصاب به الأمتان من الخسارة وما يفوتهما من المنافع كما لا يخفى، أما نحن أهل القطرين فإن الأدوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا إلى صورة حل هذه المشكلة حلاً لاحظنا فيه المنافع الإيطالية سياسية كانت أو اقتصادية، وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الأمة وتكون له السلطات الإدارية جميعها مع السلطة الدينية، ولا نظن أن الحكومة لا تستحسن هذا الحل المفيد إن تجردت عن ملاحظة الأشكال والاعتبارات، ووجَّهت دقيق نظرها إلى الحقائق والجوهريات، كنا قررنا مهادنة للتفاهم والمفاوضة وعلمنا خلالها أن سفركم إلى روما بقصد التفاهم مع حكومة جلالة الملك

والحصول على إذن وصلاحية واسعة تخول لكم المفاوضة معنا للوصول إلى ما يرفع الخلاف الذي لا تتحمل البلاد دوامه، ورعاية لأحكام اتفاقية سرت المذكورة فإنا في انتظار مندوبي برقة الذين قرب وصولهم بالنظر لإشعار سمو الأمير السيد محمد إدريس ومتى وصلوا يتعين الزمان والمكان للمذاكرة التي لا تشك أنها ستبنى على أساس الإخلاص وحسن النية، والأمل وطيد في أن دولتكم ستضم إلى تاريخ حياتكم السياسية فخراً آخر في حل المشكلات واقبلوا يا دولة الوالي عاطر التحية وفائق الاحترام.

وبعد استمرار المذاكرة ثلاثة أشهر والإيطاليون يراوغون في أحاديثهم مراوغة الثعالب تبين أن الغاية من توقيف القتال وتلك المذاكرة الاستفادة من الوقت لإعداد العدة للحرب، وقد تجلت فكرتهم هذه في تكليفهم الأخير وهو طلبهم تسليم السلاح الذي بيد الأهلين قبل أي حل وإلا الحرب، عندئذٍ لم تر الحكومة الوطنية بدًّا من رفض هذا الطلب وخوض غمار الحرب، واستؤنف القتال الذي لم يزل شرره يستطير من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.

إن الحكومة الإيطالية بعد أن اتخذت كل ما في وسعها من الوسائل لتفريق كلمة أبناء البلاد ولم تنجح ورأت ذلك الشعب متضامناً مستميتاً في سبيل الشرف والمطالبة بحقوقه، عمدت إلى تنفيذ سياسة الشدة والإرهاق خصوصاً بعد استلام الفاشيست زمام الحكم، فإنهم أضافوا إلى تلك الشدة فكرة إبادة ذلك الشعب وإمحائه لتخلو لهم الديار ويستخلفوا فيها المستعمرين من أبناء بلدتهم الذين ضاقت بهم أرضهم، وهكذا أخذ الفاشيست في تنفيذ سياستهم الغاشمة وما برحوا يُنْزِلون بذلك الشعب العربي ضروب العذاب فلا يرحمون طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً.

فإنهم يحكمون البلاد بأحكام عسكرية، وأعمدة المشانق منذ الاحتلال حتى يومنا هذا لم تزل منصوبة في كل بلد من ذلك القطر، فإدارة البلاد تحت حكم عسكري مطلق اليد لا يسأل عما يفعل وله في كل لواء وقضاء وناحية حاكم إداري وجميع الدوائر المالية والعدلية والبلدية يديرونها بمعرفتهم، وليس للأهلين مشاركة في شؤون بلادهم ولا يستخدمون منهم حتى الخدم ولا الحجاب أيضاً الذين يقفون على الأبواب وجميع المعاملة باللغة الإيطالية، والأغرب من هذا كله أن جباة الأموال من الفاشيست، فيطرحون الضرائب ويجبونها من المكلف وهو لا يدري ما عليه ولا يعرف بأية نسبة تجبى منه تلك الضريبة؛ بل إنه مرغم على أدائها عن يد وهو صاغر، وإذا سأل سائل عن أساس الضريبة يعد خائناً ويعاقب العقاب الأليم.

وبالجملة فإن السياسة المرهقة التي تتمشَّى عليها الحكومة الفاشيستية لم يسبق لها مثيل منذ أن عرف التاريخ، فسفك الدماء، وقتل النفوس البريئة، والتجاوز على الأعراض، والنفي والحكم بالسجن المؤبد، وسلب الأموال، وغصب الأملاك والأراضي من أيدي أصحابها، وقذف البشر من الطائرات، وإلقاء بعضهم مكبلين بالأغلال في لجج البحر، وقتل الأسرى،

وهتك حرمات الدين، ودوس القرآن الكريم تحت الأقدام أمام جماهير من المسلمين، وهدم أضرحة بعض الصحابة الكرام والأولياء واتخاذها إصطبلات للحيوانات، والترنم بالأناشيد في الطعن بالدين الإسلامي فحدث عن ذلك ولا حرج، ولا نريد أن نأتي في هذه العجالة على ذكر الفظائع التي كتب فيها تأليف خالص يغنينا عن التفصيل فإن فيه من الفظائع ما تتفطر منه الأكباد ويذيب الفؤاد.

ومنه يعلم القارىء أن سياسية الفاشيست في ذلك القطر ترمي إلى إبادة أهله، فقد كان عدد الشعب الطرابلسي - البرقاوي قبل الاحتلال الإيطالي يربو على (000، 500، 1) نسمة وقد صرح الجنرال غراسياني قائد الحركات العسكرية إنه بعد الإحصاء الدقيق تبين أن سكان طرابلس - برقة لم يتجاوز عددهم (700) ألف، ولا ريب من أنهم قد أفضوا على ذلك الشعب المسلم بين قتل وتهجير والبقية الباقية أيضاً محكومة بالفناء؛ لأن الضغط الشديد وشد الخناق على الأعناق لا بد أن يؤدي إلى تلك النتيجة، وعدا ذلك فإن مرافق الحياة في تلك البلاد، قد استولي عليها جميعاً، فالمسلم لا يتمكّن من الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة وبأية حرفة تؤمن معاشه، فالتاجر لا يمكنه التوسع بالتجارة والتجول في البلاد لتوسيع نطاق عمله، بل إنهم يحددون له المبالغ التي يمكنه أن يتاجر بها والأيام التي يمكنه أن يتغيبها في الأقطار المجاورة وصنف البضاعة، وإذا تغيب عن الأجل المضروب له أو تاجر بأصناف غير مسموح له تسحب من يده الإجازة ويعاقب؛ زد على ذلك أنهم أطفأوا نور العلم وتركوا ذلك الشعب يتخبط في دياجير الجهل فلم تكن في تلك البلاد إلا بضع مدارس ابتدائية أسست في عهد الترك يعلمون فيها الأطفال باللغة الإيطالية للوصول إلى إماتة اللغة العربية حتى لا تبقى ناحية من مقومات ذلك الشعب إلا ويقضي عليها القضاء المبرم.

ولما رأت الجاليات الطرابلسية البرقاوية التي تقطن مختلف الأقطار الإسلامية ما أحاط ببلادها من الأخطار فكرت في تأليف لجنة للدفاع عما حل ببلادها من الضيم الفظيع والظلم المريع وانتخبت هذه اللجنة ووضعت أساساً لعملها «الميثاق الوطني» وهذه مواده.

1 - تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس - برقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة.

2 - دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور البلاد.

3 - انتخاب الأمة مجلساً حائزاً على الصلاحية التي يخوله إياها الدستور.

4 - اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الحكومة والتعليم.

5 - المحافظة على شعائر الدين الإسلامي وتقاليد القطرين في جميع أرجائه.

6 - العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية.

7 - العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه.

8 - تحسين العلاقات بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابي.

ومنذ تأسست هذه اللجنة أخذت على عاتقها القضية بشتى الوسائل الداخلية في حيز إمكانها، فأذاعت على الملأ السياسة الهوجاء التي تتمشى عليها الدولة الإيطالية في تلك البلاد بواسطة الصحف والنشرات والرسائل، وهي ترسل في كل موسم حج إلى مكة المكرمة عشرات الآلاف من النشرات لتحيط المسلمين في جميع الأقطار علماً بما هو حادث في تلك الديار النائية، ولم تكتف بذلك بل خاطبت طاغية الفاشيست وبينت له عقم سياسة الحديد والنار التي يتعقبها في طرابلس وبرقة ولكن نصحها له لم يزده إلا غروراً وعتواً كبيراً، وقد اقتنعت بعدم الفائدة من مراجعة أولئك الطغاة الذين لا يرضيهم إلا تمزيق اللحوم والولوغ في دم البشر.

لذلك يتحتَّم على المسلمين الاهتمام بإخوانهم في الدين والقومية في تلك البلاد النائية أولئك المساكين الذين تقطعت بهم الأسباب وأعوزتهم الوسائل وسدت في وجوههم السبل إلا سبل الموت، وفي الموت راحة البائسين ولطالما ملأنا الفضاء بأصواتنا ورفعنا شكوانا إلى العالم الإسلامي ليصرخ في وجوه وحوش الفاشيست عساهم يرجعون عن غيهم ويؤوبون إلى رشدهم رحمة بالإنسانية وشفقة على البشرية، ولكن أنى للمسلمين الذين تفرقت كلمتهم وانحلت عرى جامعتهم أن يتضامنوا على القيام بمثل هذا الواجب، ولما كان المؤتمر الإسلامي الموقر من ضمن واجبه التفكير في مثل هذه الشؤون الهامة فها أننا نبسط بين يديه قضية من أهم القضايا التي يجب العناية بها، فإن ذلك الشعب المفجوع في وطنه ودينه إذا لم تشمله عناية المخلصين من إخوانه المسلمين الذين يهمهم أمر الدين سيصبح «لا سمح الله» أثراً بعد عين وفي ذلك ما فيه من المسؤولية الكبرى والبلاء العظيم.

فيا أيها السادة الكرام:

إن الشعب الواقف في وجوه أعدائكم منذ إحدى وعشرين سنة هو منكم، والدين المهان في تلك الديار هو دينكم، وأولئك الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله هم شهداؤكم، هنالك في تلك الصحارى المحرقة والفيافي المقفرة إخوان لكم ﴿صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23].

أجل؛ إن إخوانكم في تلك الديار النائية يستصرخونكم ويناشدونكم الله أن تعملوا على معالجة شؤونهم ونشلهم من براثن الأعداء قبل أن يقضى عليهم فيموتوا، وبذلك تفقدون قطراً إسلاميًا فتحه جدودكم الكرام ورفعوا فيه راية الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

وقد أصيبت اليوم تلك التربة التي خضبت بدم الشهداء تخيم عليها سحابة سوداء تمطر ظلماً وجوراً على إخوانكم البؤساء، هناك تسمعون الصراخ والعويل والبكاء والنحيب، هنالك

الإنسانية المعذبة، هناك تحار الأفكار وتزيغ الأبصار، ولا منجد، ولا مغيث، ولا معين.

فإن في تلك البلاد طائفة من المسلمين لم يزالوا شاكين السلاح يذودون عن أوطانهم ويدافعون عن كيانهم، وعدوهم الجائر يتربص بهم الدوائر، فنرجو أن تفكروا فيما يخفف عنهم المصائب التي تحل قبل أن تمزقهم القوى الغاشمة ولا نخال إنها تعوزكم الوسائل لمد يد المساعدة لأولئك البؤساء وأنتم رجال الإسلام الذين يمثلون (400) مليون مسلم في الكرة الأرضية، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه[1].

رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات
الطرابلسية البرقاوية
بشير السعداوي
26 رجب سنة 1350هـ
6 كانون الأول سنة 1931م

لقد تزعم اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية السيد بشير السعداوي ويعتبر من الشخصيات الفريدة في التاريخ الليبي المعاصر، فقد قام بدور فعال في حركة الجهاد التي كانت تتصدى للاستعمار الإيطالي في ليبيا، وبعد أن أخضعت إيطاليا منطقة طرابلس بالكامل وتوقفت حركة الجهاد من الإقليم اختار بشير السعداوي العيش في المهجر ولكن نشاطه الجهادي السياسي المعادي للاستعمار الإيطالي في الخارج لم يتوقف، وظل يحرض الليبيين على الصمود في وجه الممارسات الإيطالية الغاشمة وأخذ يحث الدول والشخصيات العربية والإسلامية على مساندة الشعب الليبي، وتقديم كافة صور الدعم الممكنة له، واستفاد من عمله كمستشار للملك عبد العزيز في التعريف بالقضية الليبية.

استمرت الجمعية الطرابلسية البرقاوية في عملها وفي عام 1940م أعيد تشكيل الجمعية من جديد في دمشق برئاسة الدكتور كامل عيد يضم إليه نخبة من أفاضل المجاهدين، كالسيد عبد الغني الباجقمي أميناً للسر، وأبي بكر قدورة وغيرهما، وبقيت الجمعية تعمل من ذلك الحين تحت إرشاد الأمير إدريس وتوجيهاته[2].

خامساً - إيطاليا تحتل الحبشة:

كانت إيطاليا تسعى حثيثاً لتحقيق طموحاتها الجنوبية الهادفة إلى إنشاء إمبراطوريتها القديمة في إفريقيا الشرقية ولذلك أغارت على الحبشة واحتلتها بالقوة، وتمت السيطرة التامة في

(1) انظر: حاضر العالم الإسلامي، (3/ 385).
(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(375).

عام 1936م، وكان الليبيون المجندون من قبل إيطاليا وقوداً لتلك المعارك المحرقة، حاولت عصبة الأمم أن تنزل العقوبات الاقتصادية على إيطاليا ولكن بدون جدوى، وأصبحت الحبشة جزءاً من إمبراطورية إيطاليا واتخذ ملكها لقب إمبراطور أثيوبيا، وكان من نتائج ذلك الاحتلال أن تغيرت العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا لمصلحة المجاهدين في ليبيا.

وقامت بريطانيا بالاتصال بالأمير إدريس عن طريق الكولونيل برملو (بك) ورتب لقاءً بين إدريس السنوسي وأدميرال الأسطول الإنكليزي الرابض بالإسكندرية، وتحدث الأدميرال إلى الأمير السنوسي عن المستقبل الطيب الذي ينتظر بلاده ولكن تلك المقابلة والأحاديث لم تؤتِ ثمارها؛ لأن بريطانيا لا ترغب في إعلان الحرب على إيطاليا. وكان رجال حكومتها شديدي الحرص على السلم في أوروبا باسم سياسة التسكين والتهدئة ولذلك رفعت العقوبات الاقتصادية عن إيطاليا نهائيًا في عام 1937م، وترك أمر الليبيين لأهله، وهكذا منطق المصالح ينظر للأحداث.

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين وخصوصاً أقواهم: الأمير إدريس السنوسي.

المبحث الثاني
الحرب العالمية الثانية

إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية، ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيى الله لها أسباب الانهيار والزوال قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: 6 - 14].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

أي أمرناهم بالأمر الشرعي من فعل الطاعات وترك المعاصي؛ فعصوا وفسقوا فيحق عليهم العذاب والتدمير جزاء فسقهم وعصيانهم، وفي قراءة ﴿أَمَّرْنَا﴾[1] بالتشديد أي؛ جعلناهم أمراء، والترف وإن كان كثرة المال والسلطان من أسبابه إلا أنه حالة نفسية ترفض الاستقامة على منهج الله وليس كل ثراء ترفاً[2].

إن هلاك الأمم يكون كذلك بفشو الظلم وعدم إقامة العدل، فلقد أمر سبحانه وتعالى بالعدل وحرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً كما في الحديث القدسي: **«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»**[3].

لقد اختلت الموازين وانعدمت القيم وتحكم الجبابرة الطغاة في المسلمين المستضعفين ووزع المجتمع بين سادة (الإيطاليين) وعبيد (الليبيين)، وأرادت حكمة الله ومشيئته أن يخلص الشعب المظلوم من القوى الباغية فجاءت الأسباب التي قادت الأمم المتجبرة إلى الحرب العالمية الثانية.

بدأت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر 1939م بالهجوم الألماني النازي على بولندة، وحرصت إيطاليا في بداية الأمر على عدم الدخول فيها حتى إذا رأت فرنسا تسقط أمام الجيوش الألمانية؛ أعلنت الحرب على إنكلترا وفرنسا في 10 يونيه 1940م فمهدت بذلك العمل إلى زوال

(1) انظر: تفسير ابن كثير (5/ 58).
(2) انظر: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للوابل، ص(65).
(3) رواه مسلم(4/ 1944) رقم (2577).

إمبراطوريتها الإفريقية وانهيار دولتها الفاشيستية في النهاية، وكان دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا فرصة ثمينة بالنسبة لليبيين في المهجر وفي أوطانهم ينتظرونها للتحرر والخلاص، واسترداد حقوقهم التي اغتصبها العدو في أعوام طويلة، فما دخلت إيطاليا الحرب حتى شرع الليبيون في العمل، واتصل فريق منهم بالمفوضية الفرنسية بالقاهرة وغادروا مصر فعلاً إلى الجزائر حيث اتصلوا بالجنرال (نوجس) واتفقوا معه على أن يجهزوا حملة من الليبيين الموجودين في الجزائر وتونس للعمل ضد إيطاليا في ليبيا إلا أن هذا المشروع لم ينفذ بسبب استسلام فرنسا للزحف الألماني.

وكان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة، فشرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها وعقد الزعماء الليبيين اجتماعاً تاريخيًا في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية لبحث المستجدات واتخاذ قرار نهائي، وكان تاريخ ذلك الاجتماع 6 رمضان 1358هـ/ 20 أكتوبر 1939م اجتمع فيه حوالي أربعون شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين بمصر في منزل الأمير إدريس في جهة فكتوريا برمل الإسكندرية، وظلوا يبحثون ثلاثة أيام بتمامها، وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الحكومة الإنكليزية بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك في افتتاح الأقطار الليبية واسترجاع أرض الوطن عند دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا، ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم 9رمضان 1358هـ/ 23 أكتوبر 1939م جاء فيها: (بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، قد اجتمع زعماء ومشايخ الجالية الطرابلسية البرقاوية المهاجرون بالديار المصرية في اليوم السادس من شهر رمضان المعظم 1358هـ بالإسكندرية وتشاورا في حالتهم الاستقبالية وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم في كل الأمور ويعرب عن آرائهم وبذلك وضعوا ثقتهم في سمو السيد محمد إدريس السنوسي الذي يمثلهم تمثيلاً حقيقيًا؛ لما له من المكانة الرفيعة في نفوسهم حيث يرونه أحسن قدوة يقتدى بها. وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيئة منتخبة شورية مربوطة به ومربوط بها لتكون الأداة المبلغة والمعربة عن منتخبيها وهي التي تمثل جميعهم تمثيلاً صحيحاً، وأن يعين وكيلاً لها يقوم مقامه في حالة الغياب ويكون من أفراد الهيئة في حالة حضوره، وللهيئة الحق في تثبيت هذا الوكيل أو رفضه بأغلبية الأصوات وعليه حرر هذا التوقيع رؤساء القبائل الطرابلسية البرقاوية، والمولى سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه)[1].

وكان عدد الذين وقعوا على هذا التفويض من ترهونة، ومصراته، وبنغازي، وورفلة،

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(379).

وغريان والقصور، والمنفة، والعواقير، والبراعصة، والعبيد، والمغاربة، والحاسة وغير ذلك من القبائل الطرابلسية البرقاوية واحداً وخمسين شيخاً منهم من المجاهدين القدماء، عبد السلام الكزة عن قبيلة العواقير، وصالح الأطيوش رئيس قبيلة المغاربة، وعبد الحميد العبار، وعون محمد سوف، وأحمد شتيوي، وعبد الحميد أبو مطاري، ومحمد توفيق الغرياني، وإبراهيم أحمد الشريف وغيرهم[1].

وبادرت (جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي) بعقد اجتماع في دمشق في يوم29 شوال 1358هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر بتاريخ 9 رمضان 1358هـ/ 23 أكتوبر 1939م ووافقت عليه وقالت في بيان لها: (إن جميع الزعماء ورؤساء القبائل وكبار المجاهدين بدون استثناء اتفقت كلمتهم وتعاهدوا جميعاً على أن يدينوا بالولاء والطاعة والإخلاص لسمو الأمير إدريس المهدي السنوسي، وأنهم عقدوا عليه الآمال في حياتهم ومستقبلهم ليمثل أمام الحكومات والسلطات والهيئات أماني القطر الطرابلسي البرقاوي تمثيلاً حقيقيًا صحيحاً، ويتكلم باسم الجميع على أن تكون هيئة منتخبة منهم وله نائب يقوم مقامه عند مسيس الحاجة، وتليت التوقيعات فتبين أنها هي توقيعات من بأيديهم الحل والعقد في القطر الطرابلسي البرقاوي من الأحرار الذين عاهدوا الله على الدفاع عن الوطن، وحقوق الأمة، فكان ما جاء فيه من الغاية السامية أبلغ الأثر في نفوس الجميع؛ لأنه حقق رغباتهم الصادقة في توحيد الكلمة، وبرهن على ثبات هذه الأمة في المطالبة بحقوقها وولائها بالإمارة أولاً وآخراً وهو محط آمال الجميع في الحاضر والمستقبل لإخلاصه للوطن ودفاعه المجيد عنه ولا يوجد من يشذ عن آرائه الصائبة ولا من يخالفه في التضحية بالنفس والنفيس في سبيل سعادة الوطن والأمة وإعلاء كلمة الله، قرر الجميع تأييد قرار إخوانهم الطرابلسيين والبرقاويين في القطر المصري بدون قيد ولا شرط، وكلفت الهيئة تنظيم هذا القرار الإجماعي للإعراب لسمو الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي في الثقة التامة به والولاء الكامل له ما دام متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ متخذاً التأهبات اللازمة للقيام بعمل جدي حين تدعو الظروف إليه، وهذه تواقيعنا تشهد أمام الله والوطن بعهدنا هذا، ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه، والله ولي الجميع)[2].

وشرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي، وإعادة الاستقلال للبلاد، ودعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين

(1) السنوسية دين ودولة، ص(379).

(2) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(380).

بمصر أو أولئك الذين كانوا في خارجه وذلك للاجتماع في مكان بالقاهرة في يوم الخميس 8 أغسطس سنة 1940م من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة.

وانعقد الاجتماع قبل الموعد المعين بيوم واحد في أحد أحياء القاهرة واستمر البحث طيلة يومي 7، 8 أغسطس، وفي يوم 9 أغسطس سنة1940م وصلت الجمعية الوطنية الليبية إلى القرارات التالية:

1 - وضع الثقة في بريطانيا العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص الوطن الطرابلسي البرقاوي من براثن الاستعمار الإيطالي الغاشم.

2 - إعلان الإمارة السنوسية والثقة بالأمير السيد محمد إدريس السنوسي المهدي المبايع له بالإمارة على القطرين.

3 - تعيين هيئة تمثل القطرين؛ طرابلس وبرقة تكون مجلس شورى للأمير المشار إليه.

4 - خوض غمار الحرب ضد إيطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية.

5 - تعيين حكومة سنوسية تدير الشؤون اللازمة في الوقت الحاضر مؤقتاً.

6 - تعيين هيئة للتجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية.

7 - التوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير المشار إليه بطلب المخصصات اللازمة للتجنيد وإدارة الحكومة وتعيين ميزانية خاصة ونظام مؤقت مستمد من الميثاق الوطني حسب عوائد وتقاليد العرب.

8 - تفويض سمو الأمير بمراجعة الدولة البريطانية لعقد الاتفاقيات، والمعاهدات السياسية، والمالية، والحربية التي توفي هذه الغاية وتضمن للوطن حريته واستقلاله[1].

وفي يوم 9 أغسطس حضر الجنرال ويلسن إلى مكان الاجتماع فاستقبله سمو الأمير، وألقى الجنرال على الحاضرين كلمة قال فيها: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو تحرير لوطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم) ثم أضاف أنه على استعداد لتزويد الجيش بكل ما يلزمه من أسلحة وعتاد[2].

وقد تحدث الأمير إدريس السنوسي بنفسه عن تلك الأحداث فقال: (عندما أعلنت إيطاليا الحرب على بريطانيا بتاريخ 10 يونيه 1940م اتصل بي في مقر إقامتي بمنطقة الحمام الجنرال ويلسون، آمر القوات البريطانية في مصر تحت قيادة الجنرال ويفل، وطلب مني المساعدة في

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(381).

(2) المصدر السابق نفسه، ص(382).

المجهود الحربي ضد الإيطاليين، فدعوت الزعماء الليبيين إلى عقد اجتماع بالقاهرة خلال شهر أغسطس، لمناقشة الإجراء الذي ينبغي لنا اتخاذه لتحديد موقفنا من الحرب، ولم يبد البرقاويون أي اعتراض على انتهاز الفرصة لاستئناف الجهاد ضد الطليان، باعتبار أنه لا يمكن أن يعود علينا إلا بالكسب، فنحن لن نخسر أكثر مما خسرنا على أي حال.

ولكن موقف الطرابلسيين كان أكثر حرجاً بسبب الخوف من أن تنتهي الحرب بانتصار دول المحور، فيأخذ عليهم الطليان أنهم حاربوا في صفوف الأعداء، وكنت شخصيًا على يقين كامل من أن النصر النهائي سوف يكون نصيب الحلفاء لإيماني بحتمية انتصار الحرية على الطغيان، وعملت جهدي لإقناع الحاضرين بأن يضعوا ثقتهم في قدرة بريطانيا بحيث نوحد كلمتنا في مساندتها في الحرب.

وجاء قرار الأغلبية (باستثناء بعض الطرابلسيين) معبراً عن الثقة في الحكومة البريطانية، والاعتراف بي مفوضاً عن الليبيين في علاقتهم مع بريطانيا، والاتفاق على إنشاء جيش ليبي يسمى (القوة العربية الليبية) للقتال إلى جانب القوات البريطانية ضد الإيطاليين، فأصدرت تعليمات فورية بالبدء في تجنيد جيش من الليبيين المقيمين بمصر، وَعُين قائداً للجيش ضابط بريطاني برتبة كولونيل (أي عقيد) يدعى بروميلو سبق له العمل في خدمة القوات العربية العراقية، بينما أقيم مركز القيادة بفندق سميراميس بالقاهرة، بينما أقيم ضابط الاتصال الكولونيل آندرسون وهو من خيرة المتخصصين في الدراسات العربية، وقد أمضى فترة من الوقت، فخبرته بالشؤون المحلية ساعدت كثيراً في تسهيل إنشاء الجيش.

وكان مكتبي في شارع بركات ومحل سكني شقة بالدور الأرضي في مبنى من طابقين بشارع حشمت باشا في حي الزمالك. . . والقوة العربية الليبية تكونت في معظمها من البرقاويين اللاجئين بمصر، ومن ضمنهم بعض المجاهدين الذين فروا بعد اشتراكهم في مقاومة الإيطاليين، ولم يلبث الجيش أن وصل إلى قوة قوامها أربع كتائب قتالية وكتيبة أركان، وكان مستودع السلاح والذخيرة ومعسكر التدريب يقع عند الكيلوا (9) بجوار الأهرام، استغرقني العمل في الإشراف على تجنيد المتطوعين ومعالجة المشاكل العديدة المتعلقة برفع مستوى القدرة القتالية للجيش الذي كان على أحر من الجمر لخوض المعركة، وبعد أول هزيمة لحقت بجيش غراسياني قرب سيدي براني في ديسمبر 1940م وقع في الأسر آلاف الليبيين المجندين بالجيش الإيطالي ونقلوا إلى معسكرات أسرى الحرب في منطقة قناة السويس؛ فأخذت أتردد على تلك المعسكرات لمحاولة إقناعهم بالانضمام إلى القوة العربية الليبية وامتنع أغلب الطرابلسيين خوفاً من تعريض عائلاتهم لانتقام الطليان من جهة؛ ولأنهم من جهة أخرى كانوا سعداء بمجرد الخروج من خضم الحرب، وفي الوقت نفسه كانت وحدات الجيش الليبي

الناشيء ترسل إلى خطوط القتال أولاً بأول حالما ينتهي تدريبها، ومنها كتيبتان شاركتا في معركة الدفاع عن طبرق عام 1941م[1].

ووجه الأمير إدريس نداء نقلته أمواج الأثير إلى شعبه في ليبيا بين لهم فيه تحالفه مع بريطانيا ضد إيطاليا وحثهم على الجهاد والعمل للتخلص من الاستعمار الإيطالي البغيض[2].

أولاً - الليبيون في الحرب:

قدم الليبيون بقيادة السيد إدريس كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور، وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء، وكذلك الأهالي المدنيون فقد كانوا يقدمون للجيش البريطاني مساعدات جريئة بعد أن أصبحت بلادهم كلها ميدان قتال هائل مزروع بالألغام، وكانت قبائل برقة تأوي الجنود البريطانيين الفارين من الأسر، وقامت بتوصيلهم إلى مواقع وحداتهم التي ضلوا طريق العودة إليها في بعض الأوقات، وكان هذا الموقف عظيم الأهمية والفائدة للوحدات البريطانية العاملة خلف خطوط الأعداء، مثل مفرزة العمليات الصحراوية البعيدة المدى التي كانت تغير على المواقع الأمامية للإيطاليين في الصحراء الليبية، ومثل قوة بنياكوف لحرب العصابات التي اشتهرت باسم (جيش بوسكي الخصوصي).

وقد اعترف البريطانيون رسميًا بأهمية المساعدات التي قدمها السنوسيون أثناء الحرب، وذلك حين نوه بها وزير الخارجية إيدن في تصريح أدلى به أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ 8 يناير 1942م[3] وفيما يلي نصه:

(اتصل السيد إدريس السنوسي بالسلطات البريطانية في مصر قبل مضي شهر واحد على سقوط فرنسا، بينما كان موقفنا في إفريقيا متأزماً للغاية وبعدئذ تم إنشاء قوة سنوسية من بين أنصاره الذين فروا من الاضطهاد الإيطالي في فترات مختلفة خلال العشرين سنة الماضية، وهذه القوة أدت عدة مهام جديرة بالاعتبار أثناء المعارك الظافرة التي دارت بالصحراء الغربية شتاء عام 1940 - 1941م، كما أنها تقوم بدور فعال في سياق الحملة الجارية حالياً وأود أن أنتهز هذه الفرصة للتعبير عن مشاعر التقدير الحار التي تحملها حكومة صاحب الجلالة للمساهمة التي قدمها ويقدمها السيد إدريس السنوسي وأنصاره دعماً للمجهود الحربي البريطاني، ونحن نرحب باشتراكهم مع قوات صاحب الجلالة في مهمة دحر العدو المشترك، وأن حكومة صاحب

(1) انظر: السنوسية دين ودولة، ص(64، 65، 66).
(2) انظر: إدريس السنوسي، للأشهب، ص(76).
(3) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص(66، 67).

الجلالة المصممة على ألا يعود السنوسيون في برقة بأي حال من الأحوال للوقوع تحت السيطرة الإيطالية مرة أخرى لدى انتهاء الحرب)[1].

ثانياً - وصف آثار الحرب على برقة:

كان غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية، وضربت المدن والموانىء والقرى والمطارات والطرق والتركيبات التي أقامها الطليان، وتحطم أمل إيطاليا في استعمار ليبيا، وخلال احتلال بريطانيا برقة سنة 1940م - 1941م واندحار الطليان أتيحت فرصة لليبيين للجهاد ضد الإيطاليين ومستعمراتهم فلم يقصروا في ذلك، وبهجوم روميل الألماني المشهور ربيع 1941م أجبر البريطانيين على التقهقر إلى مصر وبحلول شتاء 1941م - 1942م عندما طردت جيوش المحور مرة أخرى من برقة كانت الديار الليبية ترزح تحت الدمار والخراب.

وقد كتب الصحفي البريطاني مورهيد عن ذلك فقال: المدينة الجميلة (درنة) قد أحرقت ونهبت وخربت المزارع الإيطالية، وأما بنغازي في شتاء 1941م (فلم تعد مدينة البتة) فقد حطمتها المتفجرات الثقيلة وتركتها خالية خربة ومحزنة باردة. وأغلقت المتاجر والأسواق، وتتابع الخراب بعد الخراب واستمر سلاح الطيران البريطاني مدة عام كامل يقصف المدينة ليل نهار حتى أصبحت أثراً بعد عين[2] ومرة أخرى أجبر البريطانيون على التخلي عن برقة، ولم يعودوا لاحتلالها إلا في خريف 1942م للمرة الثالثة والأخيرة، وأقلع الاستعماريون الإيطاليون الذين كانوا قبل سنوات أربع قد حاولوا أن يدفعوها بطابع الاستقرار، ولكنهم فرّوا إلى إيطاليا هاربين، أما بقية المدنيين منهم فقد رجعوا لبلدهم أو هربوا إلى طرابلس برًا أو بحراً أو جوًا.

تسليم طرابلس:

وفي يناير 1943م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس: جيش مونتجمري الثامن وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي ويصف حاكم طرابلس الإيطالي الذي سلم المدينة للحلفاء تلك اللحظات الرهيبة بالنسبة له: (كانت تلك المقابلة أول مقابلة مع القوات البريطانية، وكنا نتصور أنها ستكون لحظة مهيبة أو عنيفة، وكنا نتوقع عدوان المعتدي ونعد أنفسنا لما يجري وأصبح الحاكم واحداً من الفاشيست الكثيرين الذين ذهلوا في ذلك الصباح، لقد ذهبوا كلهم - القادة الذين أقسموا اليمين على الدفاع عن المدينة حتى آخر حجر - كلهم هربوا وأقلعت آخر سفينة إسعاف من زوارة، لا تحمل الجرحى، ولكن تحمل

(1) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص(67).
(2) انظر: تاريخ ليبيا، ص(172، 173).

الضفائر الذهبية والصدور المحلاة بالحرير والأوسمة) ويضيف حاكم طرابلس الإيطالي في مرارة: (إن المدنيين الذين لا يحملون الأوسمة هم الذين بقوا هناك) وفي صباح 23 يناير تسلّم (مونتوجمري) عند باب ابن غشير المدينة بصفة رسمية بحضور الحاكم ونائبه ورئيس البلدية واحتلت بقية البلاد وانتزعت من الهيمنة الإيطالية بينما الطبل الأجوف موسوليني يحث شعبه على تحمّل خسارة طرابلس (بشجاعة ورجولة رومانية) وحينها كان وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط يعلن بأن قادة الفاشيست بليبيا سيعتقلون، وأن المنظمات الاجتماعية والنوادي الإيطالية ستغلق وأن المدارس الفاشيستية ستنتهي.

ثالثاً - أثر الليبيين في القتال:

لعب الجيش الليبي دوراً نشيطاً في حملات 1940 - 1943 وساعد المدنيون الليبيون جيوش الحلفاء المقطوعة خلف خطوط المحور، وترك المجندون الجيش الإيطالي كلما واتتهم الفرصة، والتحقوا بالبريطانيين وقد انتقد بعض القادة من الليبيين سياسة إدريس في تأييد بريطانيا قبل أن يحصل على ضمانات أكيدة باستقلال ليبيا، وزاد ضغطهم لدرجة إن بعض القادة اضطر أن يهدد بالانسحاب من التعاون مع بريطانيا، وكان كل ما وعد به البريطانيون علانية هو أن أعلن إيدان وزير الخارجية في مجلس العموم في 8 يناير 1942 (بأن حكومة صاحب الجلالة مصممة في نهاية الحرب على أن لا يرجع السنوسيون في برقة بأي حالة تحت السيطرة الإيطالية).

وإعلان (إيدان) المذكور لم يعد حتى باستقلال برقة، فضلاً عن عدم ذكره لمنطقة طرابلس، والواقع يمكن أن يفهم منه الإنذار المسبق بنية السيطرة البريطانية وقوة أخرى ومع ذلك وبعد الرفض البريطاني لحق إدريس في المطالبة باستقلال ليبيا في فبراير 1942م قنع إدريس بالوعود الشفوية التي أعطيت له[1] ومعلوم أن الضعيف لا يستطيع أن يملي شروطه في عالم السياسة والهيمنة على الشعوب، ولكن الضعيف إن دخل في هذه اللعبة عليه أن يسمع ويطيع وينفذ ويرضى بالفتات على الموائد.

لقد اعترفت بريطانيا بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب العالمية الثانية ضد المحور، وتحدثت الصحافة في تلك الفترة عن دور الليبيين في تلك الحرب، فبعنوان «صفحة جديدة في تاريخ ليبيا» للمستر هـ. م فوت H.M.FOOT، مساعد المعتمد البريطاني في عمان، ونائب الحاكم العسكري البريطاني في برقة سابقاً، مجلة المنتداء الفلسطينية العدد السابع (أكتوبر سنة 1943م) قال:

(1) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص(175، 176).

قليل من الناس يذكر حملة الصحراء الغربية المصرية في الحرب الماضية أيام كنا نحارب عدواً غير جيش ألمانيا الإفريقي وغير الجيوش الإيطالية، نعني بهذا العدو جماعة صغيرة من الأعراب كانت تركب الإبل وليس لديها من السلاح إلا النزر اليسير، ولكنها مع ذلك شغلت جزءاً هامًا من القوى البريطانية طول الحرب الماضية تقريباً، ولم يكن بين هؤلاء الليبيين وبين بريطانيا العظمى خلاف، ولكنهم عقدوا النية على طرد الإيطاليين من بلادهم فتصدوا لمنازلة قوى الحلفاء الجبارة.

إن المقاومة التي أبداها هؤلاء العرب القلائل ضد الفرق الإيطالية تلك المقاومة الطويلة الباسلة، لهي قصة رائعة من قصص البطولة، فقد أمضوا في كفاحهم ثلاثين عاماً بين تلال برقة وصحاريها، وفي أثناء ذلك علق زعماؤهم على أعواد المشانق وصودرت أملاكهم وقتلت مواشيهم.

أما الأهالي أنفسهم فإنهم سيقوا مع أطفالهم إلى معتقلات كبيرة في صحراء العقيلة ومع كل ذلك لم يدب اليأس في قلوبهم، وإنه ليتسنى للذين خالطوا هؤلاء العرب منا واستمعوا في مضاربهم إلى حديث الثورة التي أشعلوا نيرانها ضد الطليان أن يتفهموا قوة كفاهم وما ينطوي عليه من مجد وفخار، فكثير من رجالهم ما زالوا يحملون آثار جراح بليغة، ويندر أن تجد عائلة منهم لم تصب في فرد من أفرادها على يد الإيطاليين.

إن تلك الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة واستحقاق قد تبدت مرة أخرى في الحملات الأخيرة، فنحن لا نزال نجهل قسطاً كبيراً من المساعدة التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء، كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد ناطقة على الكرم العربي وحب العرب للمجازفة.

يقول هؤلاء الضباط إن كل خيمة عربية كانت بمثابة ملجأ، وإن كل عربي كان بمثابة دليل، ومن طريف ما يروى أن أحد المدفعين البريطانيين أصيب بجرح فآواه عربي إلى أحد الكهوف وسهر على راحته ستة أشهر، فلما تماثل للشفاء حمله فوق جمله مسافة 400 ميل وأوصله إلى العلمين، قام العربي بكل ذلك وسلم الجندي الجريح إلى إحدى الوحدات دون أن يعلن عن اسمه أو يطلب مكافأة، وليس هذا الحادث هو الوحيد من نوعه، فإنه ما كان ليتسنى لمئات من جنودنا أن يعودوا إلى وحداتهم دون مساعدة العرب، تلك المساعدة التي كانوا يقومون بها عن طيب خاطر والتي كانت تعرض حياتهم لخطر الموت، ولم يتطرق الوهن إلى قلوب العرب حين كنا نتراجع تراجعاً كليًا وحين ظن الناس أن الدائرة قد دارت علينا، بل كانوا أبداً على استعداد لتقديم المساعدة.

وقد جرى أثناء احتفال عظيم في درنة أقامه الطليان على أثر استيلاء المحور على طبرق أن كان بين النظارة ضابط بريطاني متخف، فلم يفكر واحد من الأهلين أن يكشف أمره ويفضحه.

ومن الطبيعي أن تتضاءل قوة العرب بعد كفاح دام ثلاثين سنة، فقد انتهت ثورتهم بسقوط كفرة عام 1929م، وكانت النتيجة أن انتشر الليبيون المنفيون في أنحاء الشرق الأدنى، أما الذين بقوا منهم في برقة فقد أرغموا على قبول حكم الموظفين الطليان والقانون الإيطالي أيضاً، وشر من هذا أن اللغة الإيطالية حلت محل اللغة العربية في المدارس وأخذ الجيل الناشىء ينسى العربية.

ولقد كنت أخشى أن نجد فيهم شعباً متخاذلاً جباناً، ولكن الأمر كان لحسن الحظ عكس ذلك، فالشيوخ والزعماء مستقيمون في معاملاتهم، عادلون في أحكامهم، يتصفون بالشجاعة والصراحة، نعم إن وقت التخلص من الاضطهاد قد جاء وكان مجيئه في الوقت المناسب - قبيل فوات الأوان - لو تأخر الخلاص نصف جيل لتمت عملية تحويل الشباب العربي إلى خدم أذلاء لإيطاليا.

ولو سئلت عن أهم ما يستلفت النظر في برقة لقلت أنه النشاط العجيب والعزيمة الماضية التي يتحلى بها قوم يجمعهم دين واحد، وتجمعهم شجاعة يمتاز بها كل واحد منهم ومقاومة مستمرة للاضطهاد، فقد مضى عليهم ثلاثون عاماً وهم يقاسون الأهوال، وترك ذلك في نفوسهم أثراً سيئاً فهم لا يتحلّون باللطف الزائد والدماثة التي يتحلى بها العرب في سائر الأقطار، وتنقصهم خبرة الآخرين ومعارفهم، أما التقاليد العربية القديمة وأعني بها الكرم والشجاعة فلا ينازعهم فيها منازع[1].

وأما الأستاذ (ف. بنيكوف) فقد ألقى محاضرة أذيعت في محطة لندن اللاسلكية في 31 مايو سنة 1947م بعنوان عرب ليبيا الكرام جاء فيها: اشتركت في القتال أثناء الحرب الماضية بين بلدان مختلفة مدة خمس سنوات متوالية وما زلت أستعيد ذكراها جميعاً بالغبطة والسرور لا لشيء سوى لأني رجل حرب وقتال ونزال، ولكن المدة التي أحمل لها أطيب الذكريات هي تلك التي قضيتها في برقة بين الاحتلال البريطاني الثاني للجبل الأخضر وتحرير البلاد نهائيًا بعد معركة العلمين، ومن أسباب ذلك أنني وإن كنت إنكليزيًا وربيت في إنكترا على الطريقة الإنكليزية إلا أني أجد الحياة مع العرب في الجبل الأخضر أخف ظلاً وأسعدها حالاً من الحياة في إحدى المدن الغربية الكبيرة، وهناك سبب آخر هو أني وثقت عرى الصداقة مع بعض رجال القبائل العربية هناك، وهم رجال يمتازون بذكاء ووقار وشجاعة عظيمة وخلال سامية وأخلاق فاضلة ولا تقل منزلتهم في نفسي عن منزلة أي شخص آخر من بني وطني وجلدتي.

ولعلي أحمل للجبل الأخضر هذه الذكريات الطيبة لسبب ثالث وهو أن العرب هناك

(1) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، د. محمد فؤاد شكري، ص(107، 108).

علموني طرقاً جديدة في فنون الحرب والقتال علمتها بدوري فيما بعد لزملائي الجنود ومارسناها على نطاق واسع في إيطاليا وغيرها بنجاح وتوفيق.

زرت الجبل الأخضر لأول مرة عندما احتللنا مدينة درنة في سنة 1941م، وهناك وثقت عرى الصداقة والمودة مع كثيرين من العرب، أخص بالذكر منهم الشيخ عبد القادر بوبريدان والشيخ علي بو حامد وكلاهما من قبيلة العبيدات، وبعد بضعة شهور منيت الجيوش البريطانية بنكسات متوالية، واحتل العدو برقة مرة أخرى حتى بلدة غزالة غربي طبرق، وكانت هيئة القيادة البريطانية العليا في القاهرة في حاجة ماسة إلى معلومات عن حركات العدو، فأرسلت بناء على طلبي لجمع تلك المعلومات بمساعدة العرب في منطقة تمتد من بني غازي إلى غزالة، ومن المهام الأخرى التي كلفت بها أن أنسف مستودعات العدو وطائراته.

أنزلتني إحدى الدوريات مع جماعتي في إحدى الأمسيات بالقرب من (بلدة الزلخ) ومن هناك امتطيت صهوة الخيول والجمال إلى المكان الذي نقصده، وكان بين أفراد جماعتي عربيان: أحدهما الملازم سعد علي رحومة وهو من الجيش السنوسي التابع للشيخ السيد إدريس السنوسي، والآخر جندي عادي، وزرت في المرحلة الأولى معظم قبائل العبيدات الغربية وبعض قبائل البراعصة والدرسة، وقوبلنا في كل مكان بالترحيب الودي وكرم الضيافة رغم أن البلاد بأسرها كانت في قبضة العدو رغم ما يتعرض له العرب من أخطار محققة، إذا علم أنهم كانوا يأوون ضابطاً بريطانيًا، وآمل أن يكون كل من السيد عبد القادر بوبريدان والسيد علي بو حامد ما زالا على قيد الحياة إلى الآن، وأن يذكرا مجلساً عقدناه في ذلك الوقت مع مشايخ قبيلة العبيدات الآخرين في مكان لا يبعد كثيراً عن مراكز العدو واستطعنا الحصول على معلومات على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية، بل ويمكنني أن أقول الآن: إن الحرب في الصحراء ربما اتخذت شكلاً آخر بدون تلك المعلومات، ويرجع معظم الفضل في ذلك إلى إخلاص العرب الذين يرقبون بعين لا يغمض لها جفن طريق مرتوبة، وأولئك الذين أخذوا يتنقلون من بني غازي إلى المرج إلى القبة إلى درنة إلى المخيلي العزيات للحصول على المعلومات عن حركات العدو وخططه الحربية.

وكان جمع المعلومات جزءاً يسيراً من واجباتنا، فمن عملياتنا الهجومية الموفقة العديدة غزوة قمنا بها في شهر يوليو 1942م بمساعدة العرب الذين وضعوا خطتها بدقة ومهارة لنسف مستودع كبير للبترول خارج بلدة العقبة مباشرة، وكانت تدور في تلك الوقت معركة هامة في عين غزالة، وكان لخسارة العدو تلك الكمية الهائلة من البترول في هذا الوقت الحرج أكبر الأثر في عرقلة عملياته الحربية.

وأصبنا بعد ذلك بنكبات متوالية وفقدنا (طبرق) ولو لم تكن للعرب قلوب قدت من

الصلب جرأة وشجاعة لاعتقدوا أننا فقدنا كل شيء ولحاولوا الفرار بأنفسهم، ولكنَّ أصدقاءنا العرب وقفوا إلى جانبنا قلباً وقالباً، ولم يخن من سكان الجبل الأخضر بأسره سوى شخص واحد يجدر بي أن لا أذكر اسمه لينطوي في زوايا العار والنسيان. وقد ذهب إلى الجنرال بياتي القائد الإيطالي وأطلعه على أمرنا وأمر محطتنا اللاسلكية، ولكن خيانته لم تجده فتيلاً لأن القبائل ناصرتنا، وطافت بدوريات الجنرال الإيطالي في كل مكان إلا المكان الذي كنا فيه فجعلت منهم أضحوكة الصحراء بأسرها.

ولقد غررنا بالعدو مرات عديدة لا يتسع بي المقام لذكرها الآن، ولكن أريد أن أتحدث عن مغامرة لنا قدر لها النجاح والتوفيق بسماعدة إخواننا العرب، وقد ذهبت في إحدى ليالي الصيف إلى درنة عقب سقوط طبرق وهناك رسمنا أنا والشيخ علي البرعصي خطة لتهريب عدد كبير من الأسرى البريطانيين الموجودين في قبضة الطليان وكان بعضهم في المستشفى وبعضهم الآخر في المعسكر خارج المدينة التي كانت تعج بالجنود والألمان والطليان، وأنها كانت تضم بعض العناصر المعادية لبريطانيا في ذلك الوقت وكنت أثناء تلك الغارة أرتدي ملابس عسكرية كضابط محارب، فلم يكن عقابي إذا وقعت في يد العدو يتجاوز الاعتقال حتى نهاية الحرب، ولكن إذا قدر سوء الطالع لأحد زملائي العرب أن يقع في قبضة العدو لكان جزاؤه الموت على حبل المشنقة.

إن أنسَ لن أنسى مأدبة العشاء التي أقامها لي السيد علي قبل رحيلي حيث كنا على أحسن ما يكون من البهجة والسرور فيمكنني إذاً أن أخفي ما أشعر به من سعادة لذكريات الجبل الأخضر وأنا أعلم أن الأخطار والمشاق والأهوال لم توهن من عزائم رجاله قيد شعرة، بل أطلقت ألسنتهم بالفرح والفكاهات.

ولم أكن الشخص الوحيد الذي نعم في ظل العناية العربية الكريمة بالراحة والأمن والطمأنينة، فإن مئات من الطيارين والأسرى الفارين وغيرهم ممن ضلوا عن وحداتهم كانوا موضع عناية العرب وحسن ضيافتهم إلى أن أعادوهم سالمين إلى صفوفهم، وتتجلى قيمة هذه المعونة إذا عرفنا أن العرب أنفسهم في ذلك الوقت كانوا يعانون نقصاً فادحاً في جميع ضروريات الحياة، فلم يكن لديهم ما يكفي من الملابس، وكان الشاي والسكر أثمن من الذهب، ومع ذلك كانوا لا يتاونون عن التضحية بالقليل الذي لديهم عن رضى وطيب خاطر.

ولعلي أكون مبالغاً إذا قلت إن جميع جنود الجيش البريطاني الذي قاتلت في الجبل الأخضر يدينون بالشكر للعرب، فكثير منا مدينون لهم بحياتهم، وسوف لا ننسى كيف مهد ولاء العرب وإخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الأخير الحاسم.

لقد مر عرب برقة على وجه خاص بوقت عصيب حقًّا، فقد خاضوا غمار حروب مستمرة

متواصلة مدة ثلاثين عاماً فقدوا فيها نصف عددهم ولكن روحهم المعنوية ما زالت قوية جبارة، وما زالوا يعيشون كما عاش آباؤهم و أجدادهم من قبل رجالاً محاربين أحراراً.

لقد أتيحت لي فرصة المعيشة مع هؤلاء القوم القليلين في العدد الأقوياء بالروح، وأستيطع أن أقول إني لا أثق في شعب آخر مثل ثقتي بهم، وأرجو أن تتاح لي فرصة زيارة أصدقائي في الجبل الأخضر، مرة أخرى، وآمل أن أراهم جميعاً في أحسن صحة وأسعد حال، وقد اتسعت مضارب خيامهم، وزادت أنعامهم وأصلحت آبارهم ونشر السلام جناحيه على ربوعهم اليانعة الخضراء[1].

هذه بعض الوثائق التاريخية المهمة من بعض ضباط الجيش البريطاني من الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية ضد دول المحور وهي تدلنا على الدور العظيم الذي قام به المجاهدون لتحرير بلادهم من إيطاليا.

رابعاً - إعلان مونتجمري بعد الاحتلال الثالث وحكم الإدارة البريطاني:

وفي أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال (مونتوجمري) في 11 نوفمبر 1942م، في رسالة إلى الشعب، بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية، وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقيا، وأضاف قائلاً: «لن تتدخل الحكومة العسكرية في المسائل المتعلقة بالشؤون السياسية الخاصة بالمستقبل ولكنها ستحكم بحزم وعدل وبالنظر إلى مصالح الشعب في البلد».

وفي يناير 1943م كانت ليبيا كلها قد احتلت، وأصبحت تحت الحكم العسكري لقوتين: البريطانية في منطقتي برقة وطرابلس، والفرنسية في فزان حسب اتفاق عقد بين الجنرال (إلكسندر) الإنكليزي والجنرال (ليكلرك) الفرنسي[2].

الطريق نحو الاستقلال:

كان طريق ليبيا نحو الاستقلال فريداً من نوعه بالمقارنة مع جميع البلدان الأخرى التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية، ففي سنة 1943م أصبحت القوات الإيطالية، وكذلك سلطتها لا وجود لها في البلد وحلت محلها القوات والسلطات البريطانية والفرنسية، وفي نهاية الحرب اشتركت كل من الولايات المتحدة وروسيا مع بريطانيا وفرنسا كقوى تريد (مصالح) لها في ليبيا، وتريد أن يكون لها دور في تقرير مصير مستقبلها وكنتيجة لذلك، وجهت حركة

(1) انظر: ميلاد دولة ليبيا الحديثة، ص(110، 111، 112).

(2) انظر: تاريخ ليبيا، ص(176، 177، 178).

الاستقلال، لا كما حدث في المستعمرات الأخرى ضد القوى الاستعمارية الحاكمة، بل ضد المقترحات التي ظهرت في الحوار العالمي حول مستقبل ليبيا والنقطة التي اتفق عليها في هذا الحوار، وهي اعتبار الليبيين غير أكفاء لحكم أنفسهم وكان الرأي الغالب أن تقسم ليبيا وتوضع تحت وصاية قوتين أو ثلاثة لمدة أربع سنوات بعد الحرب.

وفي سنة 1945م، ظهر رأي قوي ضد استقلال ليبيا وبموافقة الاتحاد السوفياتي أيضاً، وكان الضمان الوحيد الذي أعطي لليبيين حول مستقبلهم هو بيان (إيدان) ولكن لم يطبق إلاّ في منع رجوع الإيطاليين إلى برقة، وكان شعبنا المنكوب في تلك الفترة خالياً من قيادة إسلامية رشيدة أو شخصيات إسلامية فعالة إذ جل القادة والدعاة استشهدوا وقتلوا وماتوا في الفترة العصيبة التي سبقت هذه الأحداث، فلم تبق إلا بعض الشخصيات السياسية الوطنية الخيرة والجمعية المحلية وبعض القيادات الدينية الضعيفة وزعماء الحركة السنوسية الذين أصبحوا يعانون من ضغط الإنجليز، وكان تعداد شعبنا قد بلغ أكثر من مليون بقليل، وكانت تجربته السياسية بسيطة وكان مستوى التعليم بينهم منخفضاً. وكانوا فقراء للغاية. إذ كان يقدر متوسط الدخل الفردي 15 جنيهاً في العام.

وقد تلا الحرب انهيار اقتصادي وتضخم خطير وانتشرت البطالة وحطمت الحرب المدن والقرى والمنشآت والطرق وخاصة في منطقة برقة، وزرعت الأراضي بالألغام لذا كانت ليبيا سنة 1945 م - وهي تحت احتلال جيوش ثلاثة - ضحية حرب وفي حاجة إلى مساعدات اقتصادية وطبية واجتماعية وفنية وغيرها.

وحكمت الإدارة الحربية البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة، والإدارة الفرنسية في فزان حسب شروط اتفاقية (لاهاي) لسنة 1907م الخاصة بالتصرف الحربي والعسكري.

واعتبرت ليبيا مقاطعة عدو محتلة، وكانت حكومتها، حسب القانون الدولي تقوم على أساس العناية والصيانة، وبقيت القوانين السارية المفعول زمن الاحتلال الإيطالي هي نفسها السارية المفعول بعد ذلك، مع تجريدها من العناصر الفاشيستية، ومن سوء حظ بلادنا العزيزة أن تبقى هذه الإدارات الأجنبية العسكرية طيلة تلك السنين العديدة، وأصبحت السلطات البريطانية العسكرية - التشريفية والإدارية والسياسية - كلها تصدر عن القائد العام لقوات الشرق الأوسط وعين سنة 1944م العميد (بلالكي) حاكماً لطرابلس، والعميد (ويوكان كمنج) في برقة[1].

وسيطرت بريطانيا على نواحي البلاد الإدارية واستعانت بعناصر ليبية وطورتها وأعدتها إعداداً يخدم مصالحها، وبالنسبة لفزان فعزلت عن طرابلس وبرقة وأصبحت تابعة لفرنسا التي

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص(178، 179).

جعلت من فزان قلعة لها في الدفاع عن مصالحها في إفريقيا، أما بريطانيا فكانت تنظر إلى منطقتي طرابلس وفزان على أنهما ذواتي أهمية استراتيجية. وأصبحت طبرق أشبه بوصلة في سلسلة القواعد البريطانية من جبل طارق إلى سنغافورة، بينما صارت قاعدة العدم الجوية مركزاً مرحليًا على طريق جنوبي إفريقيا والمحيط الهندي والشرق الأقصى، وكانت بريطانيا تفكر في أن تصبح منطقة برقة قاعدة بديلة في الشرق الأوسط إذا ما جلت عن قناة السويس، عند انتهاء الاتفاقية الأنجلو - المصرية.

وقبل نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت إلى ليبيا قوة غريبة ثالثة بإقامة قاعدة (للوجود الأمريكي) وهي قاعدة أم عتيقة حالياً والملاحة سابقاً شرقي مدينة طرابلس وقد ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز): أنفقت الولايات المتحدة الأمريكية حتى فبراير 1945م مبلغ مائة مليون دولار على تطوير قاعدة هويلس (سابقاً).

وأصبحت القاعدة الأمريكية الأولى في إفريقيا التي لعبت في الخمسينات دوراً هامًا في استراتيجية الحرب الباردة، كواحدة من سلسلة القواعد الأمريكية من غربي أوروبا وشمال إفريقيا وجنوب شرقي آسيا التي تحيط بالكتلة الشيوعية[1].

وهذه الفوضى التي حدثت لبلادنا من أسبابها سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية التي حافظت على سلامة ديار المسلمين من نفوذ النصارى والملاحدة لقرون عديدة، وإن الأمة الإسلامية بدون خلافة رشيدة على منهج النبوة لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعاً، وتكون ألعوبة في أيدي الدول الاستعمارية الكبرى بأنماط وأشكال استعمارية متجددة وتصبح لشعوبنا الإسلامية تبعية عمياء لغيرها في أمورها العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، وما وصل إليه شعبنا من انحدار شديد في مجالاته المتعددة إلا لبعده عن عقيدته وإسلامه ودينه.

خامساً - اعتراض الليبيين لموقف الدول الكبرى من قضيتهم العادلة:

عارض المجاهدون الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى وخصوصاً الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين، وبرّر بعض الزعماء أسباب تحالفهم مع بريطانيا بأسلوب علمي أدبي رفيع وهذه وثيقة تاريخية تثبت ما ذهبت إليه وعبارة عن موضوع كتبه المجاهد عمر فائق شنيب في عام1945م بعنوان (ليبيا مهد البطولة) قال بعد أن افتتح موضوعه بالبسملة:

إذا استشفيت من داء بداء ... فاقتل ما أعلك ما شفاكا

كثر الأخذ والرد في قضية ليبيا الباسلة ذات الشعب المحارب في صفوف الحلفاء من سنة

(1) انظر: تاريخ ليبيا، جون رايت، ص(180، 181).

1940م، ليبيا التي لم ترضخ للاستعمار الإيطالي فحاربت 21 سنة بلا انقطاع، ليبيا التي اشترك جيشها وشعبها في طرد العدو منها، ليبيا المضحية بمليون نسمة من خيرة أبنائها في سبيل عروبتها واستقلالها وحريتها، ليبيا التي رفعت رأس العروبة عالياً من سنة 1911 إلى 1945 وكثر عدد الطامعين فيها والمتزلفين إليها - بعد أن كان بعضهم علة شقاء عليها - وتعددت الدوافع فتباينت المنافع، وتضاربت الآراء فكثرت التكهنات وجلها - إن لم أقل كلها - لا يخلو من غايات ومناورات ومساومات بعيدة عن محجة الصواب كل ذلك على حساب ليبيا الدامية.

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

حتى أبهم الأمر لا على المنصفين الذين يهتمون بلب الحقائق ليأخذوا منها درساً وعبرة أو يجابهوا الموقف على ضوئها؛ بل على الليبيين أنفسهم الذين أصبحوا في حيرة من أمرهم، وبمعزل عما يراد بهم، وهم الذين اشتهروا بالأفعال في ميادين النضال، لا بزخرفة الأقوال ولله در من قال:

إذا اشتبهت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

لذلك رأيت لزاماً علي أن أصرخ بالحقيقة الناصعة ولو كانت مؤلمة جارحة من على منبر الصحافة العربية الحرة - التي أخذت في هذه الأيام تشد أزر ليبيا والليبيين - لأضع أمام الرأي العام العربي ولو صورة (مصغرة) عن حقيقة ما قدمه الشعب الليبي من تضحيات قاسية في سبيل حريته واستقلاله ومناصرته للحلفاء في هذا الصراع العالمي الذي قيل عنه أنه دفاع عن المبادىء الإنسانية الحرة للتخلص من الوحشية الغادرة، والاستعمار البغيض ليكون على بصيرة من قضية ليبيا العتيدة التي استهتر بها القريب وطمع البعيد والتي لا تنفصل عن قضية العروبة المقدسة بأي حال من الأحوال.

1 - أقول لإخواني الليبيين عامة - على اختلاف نزعاتهم وأهدافهم في الطرق الموصلة لوحدتهم واستقلالهم -: احذروا ولا تنخدعوا، ووحدوا صفوفكم تحت راية أميركم، وأن ما ترونه الآن في جو السياسة هو الدعاية، وأن ما تتصورونه منها هو الظن، وأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فاعتمدوا على أنفسكم وأعدوا العدة لمستقبلكم واشكروا كل من يناصركم لمبدأ العروبة الصادق الذي يحمي الجار ولا يرضى العار.

2 - وتيقنوا أن كان هناك ثمة عتاب أو لوم أوما يسمى بمسؤولية عما يقع في ليبيا في الحال، أو ما يقع لها في الاستقبال فكل ذلك يقع بالدرجة الأولى على عاتق الدولة البريطانية، بل وعلى بعض رجالها الذين ائتمناهم على وطننا وأرواحنا، وسلمنا إليهم مقدراتنا وذلك أمام التاريخ والإنسانية والوجدان، وبالدرجة الثانية على أنفسكم أنتم فيما إذا تخاذلتم وتفرقتم وغرتكم الأقوال المعسولة فسبحتم في بحر الأماني المجهولة.

إن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى فشجرة الحرية رويتموها بدمائكم وستثمر بمجهوداتكم وتضامنكم، فالدولة البريطانية هي الدولة الوحيدة التي اشتهرت ببعد النظر وتقدير العواقب، ولكنها مع ذلك في هذه القضية الهامة إن لم أقل أضرت بمصالحها الخاصة، وبمصالح الليبيين عامة، أقول بصراحة إنها نسيت أو تناست لسوء حالها أو لسوء حظنا موقفها في سنة 1940 عندما كانت واقفة في الميدان تجاه القوة الغازية الفاشيستية وحدها بلا حليف ولا معين، مصيرها معلق في كفة القدر، والعدو في إبان منعته وسطوته يتقدم في الأراضي المصرية بعد أن احتل موقع (سيدي براني) وقد طعنت يومذاك فرنسا التي يقول عنها زعيمها المحنك الجنرال ديجول اليوم: (يجب أن تعاد مستعمرات إيطاليا إليها)! طعنت من الخلف فركعت على ركبتيها مسلمة للعدو، ولكن صدق من قال:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ففي تلك الساعة العصيبة القاسية - على بريطانيا العظمى - كما قال عنها وزير خارجيتها المستر إيدن في تصريحه لمجلس النواب البريطاني يوم 7 يناير 1942 ما ندرجه بالحرف الواحد: (إني أصرح بأن السيد إدريس السنوسي اتصل بالهيئات المسؤولة بمصر خلال شهر من انهيار فرنسا في وقت لم يكن الموقف العسكري في إفريقيا ملائماً لنا على الإطلاق، فتألف جيش سنوسي يضم الذين تخلصوا من نير الظلم الإيطالي بين حين وآخر في خلال العشرين سنة الماضية وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة في الصحراء الغربية في شتاء 1940م و1941م، وهو الآن يقوم أيضاً بنصيب قيم في الحملة العسكرية الحالية فأنتهز هذه الفرصة لأعبر التقدير العام الذي تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذي قام به وما زال يقوم به السيد إدريس السنوسي وأتباعه في المجهود الحربي البريطاني، وإننا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية في مهمة سحق العدو المشترك، وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين في برقة تحت النير الإيطالي مرة أخرى بأي حال من الأحوال).

قلنا في تلك الساعة العصيبة التي كانت فيها أعظم الدول ومنها فرنسا - لا الشعوب الصغيرة - ترتعد فرقاً وتنهار سراعاً تحت ضربات النازية الفاشيستية الخاطفة، نعم في تلك الساعة الرهيبة التي اقتنعت فيها الدول والشعوب بأن زوال بريطانيا من الوجود شيء مقدور، بل وأصبحت تحدد لانهيارها الأيام، لا الشهور تقدم أمير ليبيا الشجاع غير هياب ولا وجل وعقد مجلساً حربياً ضم ممثلي البلاد من قادة الحركة الوطنية قديماً وحديثاً - وهم بقايا السيوف الأماجد - ولم ينفض اجتماعهم التاريخي الذي حضره الجنرال ولسن يوم 9 أغسطس 1940 وخطب فيهم قائلاً: (إن اشتراككم مع قوات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو لتحرير وطنكم واسترداد أملاككم وحريتكم واستقلالكم) ثم أعلن الحرب على إيطاليا وانضم

إلى الخليفة البريطانية في إبان محنتها وقدم لفخامة الجنرال ولسن قرار الجمعية الوطنية الليبية الذي رفعه بدوره إلى لندن، وبعد أن استعرض ما اتفق عليه زعماء المهاجرين بقيادة زعيمهم الأكبر إدريس السنوسي قال:

على هذا الأساس الواضح بني جهاد ليبيا لحريتها واستقلالها، وعلى هذا الأساس سلمت ليبيا بأرواح أبنائها وثروتها ومدنها لبريطانيا العظمى، ولم يمض على هذا القرار برهة وجيزة حتى تكون الجيش الليبي بضباطه وجنوده تحت علمه الوطني الذي استعرضه الجنرال ولسن في احتفال عسكري رسمي، حيًا فيه العلمين: الإنجليزي والليبي فأعجب به، وقد اشترك هذا الجيش فعليًا في كل المعارك الدامية في سيدي براني وفي حصار طبرق، وفي طرد العدو من الوطن، وفي كل موقعة رأت القيادة العامة البريطاينة وجوده فيها ضرورياً خلف خطوط الأعداء وخارجها وفي الجبهة نفسها وعلى قناة السويس وفي فلسطين - وغيرها - بكل شجاعة وبسالة وحزم.

وهل اكتفى أمير البلاد المطاع بذلك؟ كلا، بل أرسل الرسل إلى المدن والقرى ومواطن البادية ونشر في طول البلاد وعرضها أوامر كانت موفقة، ووقع النشرات التي كانت تلقى على الشعب من الطيارات، واستصرخ الشعب لمناصرة بريطانيا من محطات الإذاعة وزود ضباط الاستعلامات البريطانية الذين يعملون خلف خطوط الأعداء سرًا بالرجال الأمناء والتوصيات للزعماء وأهل الوطن لإخفائهم وإرشادهم ومدهم بالمساعدات والمؤن.

فهب الشعب الليبي على بكرة أبيه رجالاً ونساءً وشباناً كل يعمل على قدر استطاعته خلف خطوط الأعداء في إخفاء ضباط الاستعلامات وتموينها وإنقاذ الجرحى وتمريضهم وإخفائهم وتهريب الأسرى من الضباط والجنود البريطانيين والطيارين الذين وقعوا في قبضة الأعداء وإبلاغهم مأمنهم وإظهار عورات الأعداء بواسطة الأدلاء على محال قواتهم واستحكاماتهم وطيرانهم ووقودهم، وتدمير أدوات حربهم ومؤنهم، حتى اضطر العدو أن يجعل في ليبيا قوة عظيمة خاصة لمراقبة السكان والتنكيل بهم حيث ثبت لديه أن ضباط الاستعلامات البريطانيين كانوا يحضرون اجتماعات الأعداء سرًا بدون أن يعرفوا بينهم وذلك بفضل تدابير زعماء الوطن.

وقد استسلم ما ينيف عن 17،000 جندي ليبي - كان قد جندهم العدو قسراً - وذلك عندما شاهدوا أعلام وطنهم المقدسة تخفق على الدبابات ومزينة بها المصفحات وفي طلائع الجيوش؛ ثم اشترك معظم هؤلاء مع إخوانهم في الدفاع عن أوطانهم وقد استشهد الكثير من جنود وضباط الجيش، كما أسر البعض منهم أثناء هذه الحرب برًا وبحراً، ولم يزل بعضهم مفقوداً والبعض لا يعلم عنه شيء منذ وقع في معتقلات الأعداء.

واستهدفت المدن للخراب الأبدي والدمار الذي لا يعوض كطبرق التي أصبحت أثراً بعد عين، وبنغازي عاصمة برقة التي دمر ثلاثة أرباعها وقسماً من درنة وسرت وطرابلس وغيرها،

وتعرض الكثير من المدنيين العزل للقتل والشنق والنهب، حتى أن الفاشيست شنقوا في يوم واحد في مدينة واحدة وهي المرج (300) رجل، وغير هذا كثير، حتى أنه في ذلك اليوم صادر الفاشيست جميع ما في الأسواق عنوة واقتداراً وهدموا ما يقدر بنصف ثروة التجار، وتبددت ثروة البلاد وتشتت الأهلون سنين في البراري والقفاز بعد أن دمرت مدنهم وهدمت أملاكهم وقتلت نساؤهم وأطفالهم وضاعت ثروتهم ولا مجال الآن لإيضاح موقف الليبيين في انتصار العلمين، ذلك الانتصار الذي غير وجهة الحرب، وما قدموه من مجهودات كادت أن تقضي على البقية الباقية من الليبيين حيث نسفوا مخازن البنزين ودمروا معدات الحرب التي أعدها الألمان والطليان كاحتياطي لهم في برقة يعتمدون عليها في تقدمهم على مصر، وهو ما يقدر بمئات الملايين، وسيخصص لذلك فصل مدعم بالأرقام والبراهين في الكتاب الأبيض الذي ينشر عن العالم قريباً عن موقف ليبيا المشرف في هذه الحرب وعن معاملة أصدقائها الإنكليز لها، كما سيبين فيه عملهم ضد الطيارين الألمان الذين أنزلوا بعد الفتح بالبارشوتات، أفبعد هذا كله، وبعد فتح ليبيا باشتراك أهلها وتضحياتهم هذه يجوز أن تكون ليبيا الباسلة موضع مساومة؟ أو يجوز أن تطبق فيها أحكام عسكرية جائرة وغير ملائمة لطبيعة أهلها؟ أو يطبق على شعبها المحارب في صفوف الحلفاء ما يسمونه بالقانون الدولي؟ ذلك القانون الذي لم يطبق منه حرف واحد في الحبشة لا، ولا حتى في بلاد العدو المحتلة التي سلمت إدارتها لأهلها تحت إشراف الحلفاء مع أن وضع الحبشة لا يختلف عن وضع ليبيا دوليًا من حيث دخولها تحت الحكم الإيطالي واعتراف الدول بضمها إليه، وخروجها منه باشتراكها في هذه الحرب؟ أو يبدل في ليبيا استعمار باستعمار؟ أو تفكر إيطاليا الغادرة ناكثة العهود التي جربت حظها في ليبيا وخبرت ذلك الشعب العربي الأبي في حروب متواصلة معه 21 سنة أن تعود إليه؟.

اللهم إن هذا بعيد عن العدل، بعيد عن الإنصاف، وحتى عن أحكام القانون الدولي الذي قبر من يوم احتلال الحبشة فشيعت جنازته عصبة الأمم التي التحقت به سنة 1935م وعن كافة الوعود والعهود وعن الغايات السامية التي قيل إن الدول الحليفة حاربت من أجلها، وعن الشرف البريطاني الذي لا يقر مثل هذا العمل فيما أظن بوجه من الوجوه.

فلو كانت الدولة البريطانية أقامت للحق والعدل والعهود أقل وزناً أو قدرت هذه الجهود والتضحيات حق قدرها أو إعادة النظر في موقفها سنة 1940م - لأننا عند اشتراكنا معها لم تكن هناك روسيا ولا أمريكا ولا فرنسا - لما كانت في هذا المأزق الحرج الدولي من جهة، ولكانت ليبيا اليوم تتمتع بحكومة وطنية تحت إدارة أميرها، مندمجة في الجامعة العربية، ولما كان اختلف وضعها عن وضع الحبشة من يوم طرد العدو منهما.

ولكن الدولة البريطانية بجحود بعض رجالها لهذه التضحيات وبميلهم للأعداء - لأنهم إفرنج - وتخليهم عن الأصدقاء - لأنهم عرب - أضروا بهذه القضية التي لها مساس بالسلم

العالمي، وأساءوا لأهل ليبيا وهم الذين أخلصوا لهم في إبان محنتهم، بل وعاملوهم معاملة لا تمت للإنصاف والمروءة بصلة في كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والكرامة والعزة القومية، وفي نفس الوقت واجهوا وسيواجهون مشكلات عديدة كانوا في غنى عنها؛ لأن امتلاك القلوب أهم بكثير من استبعادها والسيطرة على الشعوب بدون إرادتها معناه الحقيقي تكوين عداوتها.

3 - بتر ليبيا بل والشمال الإفريقي من جسم الجامعة العربية يوم انعقادها في القاهرة كان أكبر محك دقيق للجامعة (فيما إذا كانت هي الجامعة) ولغاياتها أهدافها المقدسة عند الدول التي تهتم بمعرفة قوة الاتحاد العربي وضعفه، بودنا يومئذ أن ألقينا أنفسنا في أحضانها بصفتنا أمة عربية مجاهدة أن تقف موقف المدافع عن الجميع والمطالب بحقوق الجميع وتضمنا إليها شاءت - السياسة الغامضة - الفرقة الجامعة - أم أبت فتكون بذلك أحيت عضواً منها تشد أزره في الملمات، لأن ليبيا هي القنطرة الوحيدة التي تعبر منها العروبة إلى الشمال الإفريقي، أما اليوم فلا أدري على الوجه الأصح هل يسمع صوتها بشأن ليبيا أم يصبح صرخة في واد بعد أن تقاربت السياسات الاستعمارية التي كانت متباعدة يوم انعقادها، وأخشى ما أخشاه أن العرب رغم يقظتهم ووحدتهم المبتورة سيواجهون تضحيات جديدة ومصاعب شديدة وسيلعب بهم دور آخر يكونون فيه هم كبش الفداء - لا سمح الله - لأن الغرب لا يرتد والشرق لا يتعظ.

4 - مع استنكارنا الشديد واحتجاجنا القطعي الذي ليس عليه مزيد للضربة التي كانت ذكرتها جريدة (التايمس) وبعض الصحف الاستعمارية الأخرى والتقولات التي تقع أحياناً من بعض المغرضين بأن الليبيين يكرهون المصريين نقول بكل صراحة ما دمنا نقر الحقائق: إنها وقعت بعض غلطات مؤلمة من بعض رجال الإدارة في الحدود الغربية المصرية ولم تزل تقع أحياناً منهم ومن غيرهم، وربما كانت تلك الغلطات مدبرة بعلة خفيت عنهم لا يعلمها إلا الله والراسخون في تفرقة الشعوب وهي أنه بعد أن كان المصريون هم الذين آووا وأيدوا إخوانهم الليبيين من سنة 1911م إلى يومنا هذا، ولهم عليهم الأيادي البيضاء في جهادهم وهجرتهم، فعندما تقرر رحيل المهاجرين إلى وطنهم بعد فتحه كان الواجب يتحتم أن يودعوا بما هو لائق في كرم وسخاء وتسامح وصلة رحم وحق جوار، بل ومساعدات قيمة أدبية ومادية لمن هم منهم وإليهم شأن المصريين الذين جبلوا على هذه المزايا العالية في كل أدوار حياتهم، ولكن انعكست الآية فتصدى للمهاجرين بعض الموظفين الذين لا يقدرون العواقب فجردوهم من أمتعتهم وأقواتهم وفتشوا نساءهم - بصورة مخجلة - وصادروا حليهن وما معهم من نقود جنوها في هجرتهم أو جلبوها معهم عند التجائهم واضطروهم بهذا العمل لتهريب ما يسدون به الرمق أو ما يسترون به العورة؛ لأن الحالة وقتئذٍ في ليبيا بلغت درجة إلى أن دفن أهالي ليبيا أمواتهم بدون أكفان، وأصبحت نساؤهم لا يجدون ما يسترن به العورات بسبب منع التجارة عنهم

والتضييق عليهم، وما زالت أموالهم وأشياؤهم محجوزة عند السلطات المصرية بحجة التهريب ومخالفة القوانين، نعم وإن كان للموظفين بعض العذر وعلى الليبيين بعض الوزر للأسباب الآنفة الذكر إلا أن هذا العمل الذي وقع بين شعب واحد ووطن واحد - كما يعتقد الليبيون وأبناء مصر - جرأ الغير على الاستخفاف بالعلائق الحسنة بين الشعبين، وأن ما وقع من الليبيين من تضحيات وما عانوه من مشقات وأزمات هي بين سمع إخوانهم المصريين وبصرهم في وطنهم دفاعاً عن بلادهم التي هي الحصن الحصين لمصر العزيزة حيث كانت أرواحهم فداء لها، لو تدبروا الأمر بعين المصلحة والأخوة ربما كانت تلك الغلطات مدبرة من الغير لتتخذ منها جريدة مثل «التايمس» والجرائد الاستعمارية مادة للحط من قيمة الروابط الودية بين الشعبين المتجاورين لغاية بعيدة المرمى ستظهر نتائجها الأيام المقبلة.

وإني أعتقد عقيدة ثابتة أن الليبيين عامة والسنوسيين خاصة لم ينسوا ولن ينسوا فضل مصر ولا عطف مصر وزعماء مصر مهما حدث أو يحدث؛ لأن الشعب المصري الكريم بريء من تلك الغلطات المدبرة ومصر هي الملجأ الوحيد ليس لليبيين فحسب بل للعرب والعروبة لا سيما وتربط مصر وليبيا روابط لا انفصام لها من جهة الدين والجوار واللغة والنسب، ولا نريد أن نوضح أكثر من ذلك، فعظماء مصر وأكابرها يعلمون أكثر من هذه الحقائق ويعلمون ما يكنه الليبيون من إخلاص ومحبة للتاج المصري وصاحبه المفدى، وسيأتي يوم يتضح فيه كل شيء بالوثائق؛ لأننا متّنا هذه الروابط وأدلينا بما فيه المصلحة للطرفين في بدء الحركة سنة 1940م وفي أثناء الحرب 1942م قبل غيرنا ممن تبنى هذه المشاريع اليوم، ومع ذلك يشكر كل من يسعى لتوحيد الشعوب العربية ويعمل على إسعادها ولكل مجتهد نصيب.

كان بودنا أن لا تهمل الصحافة العربية الحرة ما قدمه الليبيون في هذه الحرب من تضحيات قاسية سنة 1940م حتى لا تفقد مادة قيمة تساعدها في الدفاع اليوم عن الحق المهضوم وتستعين بها على ما تسجله للتاريخ والأجيال المقبلة، ولكن السياسات التي كمت أفواه الصحف وكسرت أقلام الصحافيين حتى حظرت عليهم ذكر كلمة ليبيا كانت جائرة عليها وعلينا وعلى التاريخ والإنسانية وها أننا نستبشر اليوم بتعويض ما فقدته الصحافة فلها خالص الشكر وعاطر الثناء.

وأخيراً بصفتي - أحد قادة الحركة الوطنية وعضو الجمعية الوطنية التي ارتبطت مع بريطانيا يوم 9 أغسطس 1940م - أصرح بأن الوضع الحالي في ليبيا شاذ لا يتناسب في شيء مع العدل والإنصاف ولا مع وعود الحلفاء بأي وجه كان، بل إن ما يعانيه الشعب الليبي اليوم لا يختلف عن الاستعمار البغيض وإن الشعب الليبي يتطلب إقامة حكومة وطنية شرعية تحت إدارة أميره المطاع (إدريس السنوسي) بأسرع ما يمكن ليحق لها اختيار الجهة التي ترغب في الارتباط بها.

أقول هذا لدول الحلفاء ولدولة بريطانيا العظمى خاصة قبل أن يعم الاستياء الذي أخذ يتسرب إلى النفوس وتتبدل وجهات النظر من الإخلاص والمحبة والتعاون النزيه إلى المقت البغيض والمشاكسة ويطغى اليأس فتنعكس الآية ولا ينفع الندم، وإن ليبيا رغم قلة عددها وفقدان عدادها ومعرفتها بأنها لا تقوى على مقاومة الدول المعظمة مع أنها جربت في حرب إيطاليا تفضل أن تضرب يومياً بألف، بل بمليون قنبلة ذرية حتى ينقطع فيها النسل والذرية على أن يطأ أرضها إيطاليا أو أن تمس كرامتها أو ينقص شيء من حريتها واستقلالها وحقها في الحياة، أو يقرر مصيرها الغير بدون إرادتها، وهي علمت الشعوب معنى التضحية في سبيل الحرية والاستقلال من سنة 1911م إلى يومنا هذا والتاريخ شاهد عدل، وقد قلنا في بعض مذكراتنا لرؤساء الوفود في المؤتمر الذي كان منعقداً في سان فرانسيسكو - بعد أن شرحنا لهم الحالة يومئذ بوجه التفصيل - هذه العبارات: (هذا إذا كان هناك ما يسمّى عدلاً أو ما يسمى حقًا، أما إذا كانت الوعود والعهود المقطوعة للشعوب الضعيفة هي بمثابة الطابور الخامس عند الحلفاء فلا حق لهذه الشعوب في المطالبة بالحق وليس لها إلا أن تموت) وسنعود للموضوع مرة أخرى، ومن لم يعرف ليبيا على حقيقتها فعليه بالاختبار فلا زال أشبال عمر المختار يعملون على ذلك الغرار.

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

هذا بعض ما كتبه ونشره السيد عمر فائق شنيب وهو كما قدم نفسه أحد قادة الحركة الوطنية، فبالإضافة إلى ذلك نقول أنه كان من خيرة أولئك القادة وقد لازم الحركة الوطنية الأخيرة منذ 9 أغسطس 1940 إلى أن توفاه الله سنة 1953م، فقد عين أميناً عامًا لمكتب سمو الأمير، وكان ضمن أعضاء المؤتمر الوطني البرقاوي، وذهب إلى هيئة الأمم المتحدة عضواً ورئيساً للوفد الوطني مرتين، ثم وقع الاختيار عليه ليكون عضواً بالجمعية الوطنية التأسيسية الليبية وانتخب نائباً لرئيسها كما انتخب رئيساً للجنة الدستورية، وعين وزيراً للدفاع بالحكومة الليبية المؤقتة التي عهد إليها أن تتسلم السلطات من الإدارتين (البريطانية والفرنسية) وأخيراً عين رئيساً للديوان الملكي، وكان قد وضع بحثاً مفصلاً عن القضية الليبية كان صريحاً في التفاصيل التي تناولها في ذلك البحث، وقد أجاب فيه عن الكثير من الأمور الغامضة، وقد لفت فيه نظر وجهات معينة كان الكثير من حسان الظن قد تأثر بتصرفاتها وأراد طبعه سنة 1949م في مصر إلا أن الرقابة المفروضة يومذاك قد حذفت الكثير منه ووافقت على طبع ما وافقت عليه فرفض شنيب الطبع إلا إذا كان كاملاً، ولا يزال ذلك البحث مفقوداً نأمل أن تتكاثف الجهود ليرى النور وتستفيد منه الأجيال الصاعدة[1].

(1) انظر: إدريس السنوسي للأشهب، ص(101 إلى 111).

سادساً: الجمعيات التي تأسست خارج ليبيا:

وأسست جمعية في مصر بزعامة أحمد السويحلي وقامت بنشاط كبير وفتح عام 1943م نادي طرابلس الغرب الثقافي وشكلت الجاليات الليبية التي تقطن مختلف أرجاء العالم الإسلامي لجنة للدفاع عن حقوق بلدها بزعامة بشير السعداوي واتخذت ميثاقاً وطنياً بها قدمته إلى المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس عام 1931م وطالبت اللجنة المسلمين في أقطار الأرض لتقديم المساعدة لإخوانهم المنكوبين في ليبيا.

وتحرك الأمير إدريس سياسيًا مع بداية الحرب العالمية الثانية، ومن الشخصيات التي كان لها أثر سياسي في مصر في تلك الفترة بالنسبة للجالية الليبية أحمد السويحلي، وأحمد المريض، وعون سوف، وتوفيق الغرياني، ومحمد العيساوي وعبد السلام الكزة، وعبد الحميد العبار.

وشكل الأمير إدريس السنوسي جيشاً وفوض أمره إلى صفي الدين السنوسي الذي جند 14،000 من المهاجرين الليبيين، 120 ضابطاً، وشكلت الجمعية الوطنية الليبية التي قررت إعلان بيعة السنوسي، وتفويضه بدون قيد أو شرط وخوض الحرب إلى جانب بريطانيا ورفض بعض زعماء الليبيين ذلك، وفي معركة العلمين حققت بريطانيا نصراً حازماً على ألمانيا بقيادة روميل. وشارك السنوسيون مع الإنكليز رافعين العلم السنوسي، وكانت المعارك السياسية مستمرة ومستعرة بين الليبيين ولكن الكفة رجحت لصالح السنوسيين.

وظهرت بعض الزعامات الوطنية المتناثرة في بلادنا وعادت إلى الظهور الأحزاب التي أسست أثناء المفاوضات الليبية الإيطالية في نهاية الحرب العالمية الأولى، وأسست أحزاب جديدة على أيدي القادمين من المهجر وكانت الأحزاب بليبيا امتداداً لتأثير الركات الحزبية في مصر وسوريا ولبنان وغيرها بواسطة العائدين من المهجر وكانت سرعة نموها كبيرة، لدرجة أن الليبيين وخاصة في منطقة طرابلس أصبحوا بعد ست سنوات يقومون بالمظاهرات مما يدل على نمو الوعي السياسي.

وظهر في عام 1942م (نادي عمر المختار الرياضي) الذي كان له نشاط سياسي يهدف إلى توحيد برقة وطرابلس يقوده الشباب في تلك الفترة الحرجة من تاريخ بلادنا.

وفي مطلع عام 1944م أصبح النادي يعلن بصراحة انتقاده للإدارة البريطانية ويظهر اتجاهاً وحدويًا مع الاتجاه الطرابلسي من أجل اتحاد وطني.

ولم يكن الاتجاه الإسلامي في هذه المرحلة المظلمة ممثلاً إلا في شخصية الأمير السنوسي بكونه الوريث الشرعي للحركة السنوسية، وبعض الأفراد القلائل والشيوخ التقليديين.

وفي سنة 1947م أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية

تحت زعامة إدريس وأوصت لجنة بريطانيا ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الإشراف البريطاني، أما في طرابلس فكان الوضع يختلف، وظهر الخوف هناك من عودة الحكم الإيطالي للمنطقة، وخاصة وجود الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.

واقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة وأصبح (نادي عمر المختار) يشدد انتقاده ضد البريطانيين وضد سياسة إدريس المتحالف مع بريطانيا[1].

سابعاً - حل الأحزاب وإنشاء المؤتمر الوطني في برقة واضطراب الأحزاب في طرابلس:

وقام إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر 1947م، وألف الأمير إدريس المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً، إلا أن المؤتمر كان يتكون من الجيل القديم من قادة القبائل الموالين له، وكان المؤتمر برئاسة أخيه محمد رضا السنوسي، وفي طرابلس كانت الأحزاب السياسية في اضطراب وبلبلة، ووجد في المنطقة أكثر من عشرة أحزاب وجماعات ونوادٍ ذات أهداف مختلفة تسعى كلها للاستقلال وتوحيد مناطق طرابلس وبرقة وفزان، ولكن الاختلاف كان على من يقود هذا الاتحاد، وهل هو ملكي أو جمهوري، وقد تكونت من الحزب الوطني الكتلة الوطنية بقيادة أحمد الفقي حسن لمناهضة السنوسية والدعوة لإقامة جمهورية وكان يوجد حزب الاستقلال ولجنة تحرير الليبية المتعاونة مع الجامعة العربية، ويرأسها بشير السعداوي.

وبقي في ليبيا 48000 إيطالي، ظهر بينهم حزب فاشيستي بدعم من روما، وحزب معاكس له إيطاليا.

وأرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام، وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الإجماعية للاستقلال التام وأضافت اللجنة أنّ القبائل الليبية لم تكن في وضع اقتصادي يمكنها من الاعتماد على نفسها، وأيضاً غير مؤهلة للاستقلال. . . وقالت اللجنة في تقريرها بأن حوالي 94٪ من السكان أميّون، ولا يوجد بها ما يزيد على 15 ليبيًا متخرجاً دون أن يكون فيهم طبيب واحد، وأن متوسط الدخل الفردي 15 جنيهاً في السنة، وأن نسبة الوفيات بين الأطفال 40٪، ورأت بريطانيا أن تكون برقة تحت الرعاية البريطانية، وأن تكون منطقة طرابلس تحت الوصاية الإيطالية، وفزان تحت الوصاية الفرنسية.

أما الولايات المتحدة فقد اتخذت موقفاً مغايراً، إذ اقترحت أن توضع ليبيا كلها تحت

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص(181، 182، 183).

وصاية الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات، على أن تحتفظ أمريكا بقاعدة هويلس (الملاحة) الجوية والتسهيلات الحربية الأخرى، وكانت بريطانيا مستعدة للموافقة على اقتراح الولايات المتحدة إلا أن فرنسا عارضت ذلك.

أما الاتحاد السوفياتي، فقد حبذ في البداية الخطة الأمريكية، بوصاية الأمم المتحدة، لكنه عارض فيما بعد الوصاية على منطقة طرابلس لمدة عشر سنوات، بحجة أنه لو حدث ذلك، فإن «النظام السوفياتي» لن يصل إلى منطقة طرابلس ولم تقبل بريطانيا أو فرنسا هذا العرض بارتياح.

وهكذا يا أخي القارىء كانت بلادك منذ خمسين عاماً لا تملك لنفسها خيراً ولا نفعاً ولا حلاً ولا عقداً. ومع نمو الوعي الوطني والحس السياسي قامت مظاهرات جماعية لم تدع شكًا في الشعور العام المعادي للخطة. وسارت الجماهير الكبيرة المنظمة عبر شوارع طرابلس محتجة ضد الوصاية الإيطالية على طرابلس، وقدّر عدد الذين اشتركوا في المظاهرة بستين ألفاً، بما في ذلك مظاهرات جاءت من مدن أخرى، وكانت منظمة تنظيماً محليًا، وصاحب المظاهرات دعاية واسعة جلبت رأي عالمي وعربي للقضية الليبية.

وفي خلال هذه المظاهرات اتحد الحزب الوطني والجبهة الوطنية المتعددة وغيرهما في حزب المؤتمر الطرابلسي تحت قيادة بشير السعداوي، واستمر حزب المؤتمر في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات حتى رفضت نهائيًا خطة (بيفن - سفورزا) من قبل الأمم المتحدة. وكان هذا سبباً في بروز الحزب على أنه القوة السياسية الرائدة في منطقة طرابلس، وفي الجمعية العمومية في 18 مايو 1949م كانت كل الدلائل تشير إلى قرار الخطة سوف يحصل على أغلبية الثلثين في منح استقلال ليبيا ولكن مندوب هايتي (إميل لوت) عارض الوصاية الإيطالية على منطقة طرابلس وكانت النتيجة أن فشلت الخطة عند الاقتراع عليها، وذلك بسبب نقص صوت واحد كان مطلوباً لتأمين الأغلبية التي أعطت أصواتها لقرار الخطة (23 مقابل 17 وغياب 8) وكان الذي أقنع (إميل لوت) بالوقوف مع الشعب الليبي الدكتور علي العنيزي رحمه الله تعالى.

واستطاعت الوفود العربية في الأمم المتحدة أن تقنع بسهولة الوفد السوفياتي وبعض الوفود الأخرى المعارضة لمصلحة استقلال ليبيا، وبفشل التصويت على وضع الوصاية الإيطالية لم يعد هناك سبب يدعو كتلة أمريكا اللاتينية لدعم بقية القرار واقترعت ضده بالفعل مما سبب له هزيمته بأغلبية 37 صوتاً ضد 14 وغياب 7 أصوات وقد دعم استقلال ليبيا دول إسلامية وعربية مثل باكستان وسوريا ولبنان وكذلك الهند لمصالحها.

وقد تغير موقف الروس بشكل ملفت للنظر، فبعد أن كانوا في وقت ما يريدون الوصاية السوفياتية على منطقة طرابلس، ثم إرجاع ليبيا لإيطاليا، أصبحوا سنة 1949م ينادون باستقلالها خلال ثلاثة أشهر وجلاء جميع القوات الأجنبية عنها.

وأصبحت بريطانيا ترى لمصلحتها استقلال ليبيا كلها، وخاصة إذا أمكن الحفاظ على القواعد البريطانية في منطقتي طرابلس وبرقة.

ورفضت خطة بيفن - سفورزا، وأعلن إدريس استقلال برقة بتأييد بريطانيا ونصب نفسه أميراً عليها، وأصبحت الحكومة المحلية مسؤولة عن الشؤون الداخلية. أما الشؤون القضائية والمالية فبقيت تحت مسؤولية المستشارين البريطانيين، وكذلك ظلت الأمور الخارجية والدفاعية والأملاك الإيطالية تحت السيطرة البريطانية.

وأصبح استقلال ليبيا شيئاً لا بد منه بالنسبة للأمم المتحدة، وأعيدت قضية ليبيا إلى اللجنة السياسية في صيف 1949م وسمح لإيطاليا بالاشتراك بالنقاش، وكذلك لممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسية الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة، واتفق على القرار بأغلبية ساحقة في الجمعية السياسية في 12 نوفمبر، ثم قدم بعد أسبوع إلى الجمعية العامة[1].

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص(188 - 190).

المبحث الثالث

قرار الأمم المتحدة بشأن ليبيا

وفي 21 نوفمبر 1949م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية 48 صوتاً ضد صوت واحد (الحبشة) وغياب تسعة فيها: فرنسا وخمس دول شيوعية.

ويتضمن القرار ما يلي:

1 - أن تصبح ليبيا المكونة من مناطق برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة.

2 - أن يصبح هذا الاستقلال ساري المفعول في أسرع وقت ممكن وألا يتأخر بأي حال من الأحوال عن أول يناير 1952م.

3 - أن يقرر دستور ليبيا، يضم شكل الحكومة من قبل ممثلين عن سكان مناطق برقة وطرابلس وفزان يجتمعون ويتشاورون معاً في جمعية وطنية.

4 - ومن أجل مساعدة شعب ليبيا على وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة يرسل مندوب من الأمم المتحدة إلى ليبيا، تعينه الجمعية العامة، ومعه مجلس لمساعدته ونصيحته.

5 - أن يقدم مندوب الأمم المتحدة، بالمشاورة مع المجلس، تقريراً سنويًا مع التقارير التي يعتبرها ضرورية، ويضاف إلى هذه التقارير مذكرة أو وثائق يرغب مندوب الأمم المتحدة أو أي عضو في مجلس في أن يضعها أمام انتباه الأمم المتحدة.

6 - أن يتكون المجلس من عشرة أعضاء، وبالتحديد:

أ - ممثل ترشحه حكومة كل من البلدان التالية: مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

ب - ممثل عن شعب كل من المناطق الثلاثة في ليبيا، وممثل عن الأقليات.

7 - أن يعين مندوب الأمم المتحدة الممثلين المذكورين في الفقرة 6 - ب بعد التشاور مع القوى الإدارية ومع ممثلي الحكومات المذكورين في الفقرة 6 - أ ومع الشخصيات القيادية وممثلي الأحزاب السياسية والمنظمات في المناطق المعينة.

8 - وإنجازاً لمهامه، يشاور مندوب الأمم المتحدة ويسترشد بمشورة أعضاء مجلسه، ويجب أن يكون معلوماً أن بإمكانه أن يقابل أشخاصاً مختلفين لسماع النصيحة بخصوص المناطق المختلفة أو المواضع المختلفة.

9 - يمكن لمندوب الأمم المتحدة أن يقدم المقترحات إلى الجمعية العامة، وإلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وإلى السكرتير العام فيما يخص الإجراءات التي يمكن أن تتبناها الأمم المتحدة خلال الفترة الانتقالية بخصوص المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا.

10 - أن تقوم القوى الإدارية بالتعاون مع مندوب الأمم بالمتحدة:

أ - باتخاذ جميع الخطوات اللازمة حالاً لنقل السلطة إلى حكومة دستورية مستقلة.

ب - إدارة المناطق بهدف مساعدة أقسام الوحدة الليبية والاستقلال والتعاون في تكوين الإدارات الحكومية وتنسيق نشاطاتها من أجل هذه الغاية.

ج - تقديم تقرير سنوي للجمعية العامة حول الخطوات المتحدة لتطبيق هذه التوصيات.

11 - أن تدخل ليبيا الأمم المتحدة حسب المادة (4) من الميثاق، بعد أن تصبح دولة مستقلة.

وبعد أسبوعين عينت الجمعية العامة مساعد السكرتير العام (أدريان بليت) مندوباً للأمم المتحدة في ليبيا.

إن الخطوات المذكورة نحو الاستقلال - على حسب تقديري وفهمي للحقيقة - لا نعتبره استقلالاً بمفهومه الذي وضع له هذا المصطلح، إن الأمة التي تحكم شرع ربها من ذاتيتها وشخصيتها وعقلها وقلبها وعقيدتها هي تلك الأمة الحرة المستقلة التي رضيت بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا ورسولاً؛ بل انتقلت بلادنا من الاستعمار الإيطالي النصراني إلى استعمار من نوع آخر في أموره الدستورية والسياسية والاقتصادية والتعليمية فأين إذن الاستقلال؟ ولا زال أمر الله وحكمه مغيّباً في واقع شعبنا وحياته إلى كتابة هذه السطور ولذلك فهو يئن من وطأة الظالمين الذين حكموا شعبنا بقوانين أرضية طينية وغيبوا شرع الله عنه ظلماً وبهتاناً وزوراً، وعلى الأحرار من أبناء شعبنا أن يعملوا ليلاً ونهاراً سرًّا وإعلاناً من أجل الاستقلال الحقيقي وكسر القيود المكبل بها شعبنا، ولا يتحقق ذلك إلا عندما يحكم شرع الله ودستور الإسلام الخالد على شعبنا المسلم الذي عانى ولا يزال يعاني من تكبيل حريته واستقلاله واتخاذ قراره وما ذلك على الله بعزيز.

وكان موعد استقلال ليبيا سيحل بعد 700 يوم من وصول مبعوث الأمم المتحدة لبدء مهمته، وعندما وصل المبعوث (أدريان بلت) إلى ليبيا في رحلة استطلاعية لمدة أسبوعين في 18 يناير 1950م، لخص مهمته على أنها لمساعدة شعب ليبيا على وضع دستوره وإقامة حكومة مستقلة[1].

وكان أول واجب عليه هو أن يكمل عضوية المجلس المنصوص عليه في قرار الجمعية

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص(193).

المكلف باستشارته، وقد عين ممثلو مصر وفرنسا وإيطاليا وباكستان والمملكة المتحدة والولايات المتحدة من قبل حكوماتهم المعنية، وطلب (بلت) مرشحاً متفقاً عليه من كل المناطق الليبية الثلاثة وممثلاً للجاليات الإيطالية واليهودية واليونانية بمنطقة طرابلس وقدمت فزان مرشحاً واحداً، إلا أن برقة قدمت ثمانية وطرابلس سبعة، والأقليات أربعة، وبعد التشاور مع القوى الحاكمة الأجانب، عين (بلت) أسد الجربي ممثلاً لبرقة، ومصطفى مزران عن منطقة طرابلس، وأحمد الحاج السنوسي عن فزان، وجياكو مو مارشينو الإيطالي للأقليات وأنشىء مجلس ليبيا (المشهور بمجلس العشرة) في 15 أبريل 1950م، وكان يضم ثلاثة ليبيين وممثلين عن دولتين إسلاميتين مستقلتين (مصر وباكستان) وإيطاليين (واحد يمثل إيطاليا والآخر يمثل الأقليات الأجنبية بليبيا) وثلاثة يمثلون ثلاثة قوى غربية هي: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ولذلك يعتبر تكوين عضويته - أي المجلس - تحيزاً للغرب بمعدل سبعة مقابل ثلاثة، على اعتبار أن ممثلي برقة وفزان كانا خاضعين لتأثير بريطانيا وفرنسا، وأن الثلاثة هم ممثلو مصر وباكستان وطرابلس أيضاً تابعة للقوى الأجنبية المسيطرة.

وكانت معارضة قوية جدًا محتجة على دخول الإيطاليين والأقليات الأخرى في تقرير مصير الشعب المسلم في ليبيا ولوجود تخوف من تدخل الإدارة البريطانية في الانتخابات وبذلك ألغيت خطط (بلت).

إلا أنه لم ييأس واستطاع استدراج بعض الشخصيات الدينية والوطنية وشكل جمعية وطنية من طرابلس وفزان وألغيت كثيراً من الاقتراحات وأخمدت الأصوات المعارضة[1]، وبعد أن حازت الجمعية الوطنية السلطات كي تقرر الشكل التنظيمي والدستوري لمستقبل الدولة، وتختار من أعضائها لجنة لوضع الدستور عقدت الجمعية أول اجتماع لها في طرابلس في 25 يناير نوفمبر سنة 1950م وانتخب مفتي طرابلس رئيساً لها واتفقت خلال أسبوع على أن تكون ليبيا دولة ديمقراطية فدرالية ذات سيادة، وأن تكون الدولة ملكية دستورية ودعم ممثلو برقة وفزان الاتحاد بقوة وقبل الطرابلسيون ذلك.

وظهر بشير السعداوي كشخصية وطنية فذة وكان من أكبر المتحمسين للوحدة وكان له شعبية ومساندة معظم الوطنيين في تطلعاته نحو وحدة البلاد، ووقف ضد الجمعية الوطنية وقاد عدة حملات ضدها، وتساءل بشير السعداوي ﷺ عن أهلية الجمعية الوطنية في نداء وجهه إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية، واستمر بشير السعداوي يهاجم عدم أهلية الجمعية الوطنية طيلة النصف الأول من عام 1951م وكسب تأييد عبد الرحمن عزام، وقام عزام أيضاً بالهجوم على

(1) انظر: تاريخ ليبيا، ص(198، 199).

الجمعية الوطنية وأن قراراتها غير قانونية ومخالفة لرغبات الشعب الليبي، وقررت اللجنة الدستورية للجامعة العربية بأنه لا حاجة للاتحاد في بلد يوحده الجنس واللغة والعادات والدين وأكثر من ذلك فإن الجمعية لم ينتخبها الشعب لذا فإنه ليس لها سلطة البت في أمور تؤثر على مستقبل البلاد، وقام (بلت) بإرسال مفتي طرابلس وهو عضو من الجمعية الوطنية إلى مصر ليخطب ود الجامعة العربية وتلاشت عداوة الجامعة العربية بالتدريج.

وفي الرابع من ديسمبر 1950م أقرت الجمعية الوطنية العلم الليبي وانتخبت لجنة الدستور على أساس ستة أعضاء من كل منطقة لتحضير وتقديم مسودة دستور، وقامت اللجنة، بدورها بتشكيل مجموعة عاملة من ستة أعضاء لكتابة المسودة وتقديمها فصلاً بعد آخر للجنة وكان (بلت) وخبراء آخرون من الأمم المتحدة مستعدين لتقديم المشورة عند أول اجتماع للمجموعة العاملة في 11 ديسمبر. ودرست دساتير أحد عشر اتحاداً منها الهند، وسويسرا وفنزويلا وقورنت ببعضها وأخذت دساتير مصر والعراق والأردن ولبنان وسوريا، وكذلك حقوق الإنسان كنماذج لفعل الحريات الأساسية، وغيبت عن المسلمين في ليبيا قواعد النظام الأساسي في الإسلام ومن هذه القواعد التي غيبت عن المسلمين مفهوم الحاكمية، فمدلول لا إله إلا الله يعني أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا نافع ولا ضار إلا الله، ويعني أيضاً لا مشرع ولا محلل ولا محرم إلا الله، وغاب عن المسلمين في ليبيا أن التحاكم إلى الدساتير الوضعية ووضع القوانين البشرية يتنافى مع بدهيات التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية، إن الله الذي جعل الإسلام ديناً هو الذي جعله عقيدة ونظاماً وإن الله ليأبى على الناس أن يبتغوا لأنفسهم ديناً غير هذا الدين ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

إن الذين أرادوا الفصل بين العقيدة الإسلامية والنظام الأسلامي إنما هم أعداء الإسلام ونحن نقول: إن الإسلام عقيدة وشريعة، فإن العقيدة والشريعة أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وإن الفصل بينهما ضلال وكفر وردة فإن الإيمان بالعقيدة وترك الشريعة كفر، وإن الأخذ بالشريعة وترك العقيدة كفر.

وهذه الفعلة الشنيعة في الجري خلف الدساتير الأرضية وقوانين الدول الغربية العلمانية وغيرها يدل دلالة قاطعة على خطورة الأمر الذي وصلت إليه بلادنا من الضعف العقدي والشرعي.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21].

وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرع الله وأذن به كائناً من كان، والله وحده هو الذي يشرع لعباده بما أنه - سبحانه - هو مبدع هذا الكون ومدبره بالنواميس، ولا يتحقق هذا إلا حين يشرع الله المحيط بتلك النواميس، وكل ما عدا الله قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور.

ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة، فإن الكثيرين يجادلون فيها، أو لا يقتنعون بها وهم يجرءون على استمداد التشريع من غير ما شرع الله، زاعمين أنهم يختارون الخير لشعوبهم، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم، كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله، أو كأنما لهم شركاء من دون الله يشرعون لهم ما لم يأذن به الله، وليس أخيب من ذلك وأجرأ على الله[1].

والذي دفعني إلى الوقوف عند هذه النقطة المظلمة من تاريخ بلادنا وهي اختيار دستورها من دساتير أرضية وتركهم لتشريع رب البرية وهو كون شعبنا مسلماً مؤمناً وإنما فرض عليه ذلك من أعدائه أعداء دينه وإلا موقف المسلم من ذلك بيّن وواضح وإليك موقف المسلم كما بينه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 3].

فالمسلم يهرع إلى شرع ربه ودستوره برضى وطواعية ورغبة وتسليم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51].

فشريعتنا الإسلامية ربانية شاملة شمول العلم الإلهي، محيطة بمشاكلهم إحاطة العليم الخبير، لا تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وقد أوجدت لها حلاً، وهي يسيرة سهلة تحقق اليسر والسهولة وترفع الحرج عن الناس؛ لأنها لا تكلفهم إلا وسعهم[2].

وتدخل الأمم المتحدة في مصير الشعوب باسم مصلحة الشعوب وإسعادها والأخذ بيدها نحو الحرية والاستقلال والنور والديمقراطية يعلم الله إنهم لكاذبون ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

والتاريخ البشري يشهد أن أسعد الفترات التي كانت تعيشها البشرية على الإطلاق، تلك الفترة التي تحكم فيها بشريعة الله سبحانه وتعالى حيث كانت تنعم بالأمن والإيمان والسلامة والسلام، وكان العدل والرخاء والاستقرار يسود المجتمعات التي حكمت بشرع الله[3].

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، (2/ 3512).

(2) انظر: النظام السياسي في الإسلام، أبو فارس، ص(30).

(3) المصدر السابق نفسه، ص(31).

والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر.

لقد كان الضغط على البلاد عظيماً ولذلك لم يستطع الأمير إدريس، وكذلك القوى الوطنية المسلمة من جعل دستور البلاد ربانيًا نابعاً من الكتاب والسنّة وفهم السلف الصالح وبحيث يكون الإسلام هو المصدر الرئيسي والوحيد الذي يستمد الشعب منه قوانينه ودستوره كيف لا والله تعالى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89] ومعلوم أن الإسلام دين ودولة وصالح لكل زمان ومكان.

والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم، ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله، ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره فإن النتيجة الطبيعية أن يكون صوت هذا المصلح صرخة في وادٍ ونفخة في رماد قد يكون مفهوماً أن يفتح المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه ﷺ أما والحال - كما نرى - التشريع الإسلامي في وادي والتنفيذ في وادي آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من الذين لا يدينون بالإسلام الحنيف[1].

ومضت المجموعة العاملة والمختصة من الجمعية الوطنية لمناقشة الجنسية الليبية واللغة وسلطات الملك، والمسؤوليات الوزارية والبرلمان وتشكيل مجلس الشيوخ وقانون الانتخابات، وقد أجريت تعديلات عند تقديم الفصول إلى اللجنة وقدمت مسودة إلى الجمعية الوطنية في سبتمبر 1951م واستمرت المناقشات ثلاثة أسابيع وكان هناك عدة خلافات فكان البرقاويون يصرون على أن يكون بنغازي هي العاصمة، وأصر الطرابلسيون بتأييد الفزانين على أن تكون طرابلس هي العاصمة واستقر الرأي على أن تكون طرابلس وبنغازي عاصمتين مشتركتين منعاً للنزاع، وأقر الدستور كله من 213 مادة (بلت) مبعوث الأمم المتحدة.

وأشاد (بلت) بإنجاز الليبيين للدستور في مدى عشرة أشهر، وتزايدت قوة الشعور بالوعي الوطني الليبي واتحاد جميع الممثلين في قرارتهم لإنشاء ليبيا المتحدة التي سماها الدستور (المملكة الليبية) وسميت المناطق الولايات بدلاً من دول، وكانت السلطة التشريعية مخولة للملك ومجلس الشيوخ والبرلمان على أن يكون أعضاء مجلس الشيوخ 24 عضواً ثمانية من كل ولاية نصفهم معين من قبل الملك والنصف الآخر منتخب، أما النواب فينتخبون من الذكور

(1) انظر: رسائل حسن البنا، ص(272).

البالغين بمعدل واحد عن كل عشرين ألف من السكان، ويختار أعضاء الوزاة المركزية من البرلمان الاتحادي، ويعين الملك رئيس الوزراء ووالي كل ولاية.

وبدأ تخطيط نقل السلطات من الإدارات البريطانية والفرنسية للاتحاد الليبي في مطلع سنة 1951م، وقسمت لجنة (بلت) نقل السلطات على أربع مراحل من سبتمبر إلى نهاية السنة، وفي فبراير سنة 1951م أصدرت الجمعية الوطنية قراراً بتشكيل حكومات محلية لاستلام السلطة من السطات الإدارية، وفي 3 مارس أصدرت الإدارة البريطانية بموافقة إدريس بياناً بتأليف حكومة محلية في طرابلس، ولم يكن حزب المؤتمر الوطني الطرابلسي راض عن سير الأمور بتحكم بريطانيا في إجراءات نقل الوضع إلى السلطات المحلية[1].

وكان (بلت) قد دعا الأمم المتحدة منذ أول تقرير سنوي له إلى مساعدة ليبيا ماليًا بسبب فقرها وحاجتها، قال: «ما لم توجد الوسائل لتحسين الزراعة وخلق رأسمال استثماري جديد، فهناك خطر كبير في انهيار الاقتصاد الليبي وتحوله إلى اقتصاد رعوي، مع ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعية وسياسية ربما تعرض وجود الدولة الجديدة للخطر» وقدمت الأمم المتحدة مساعدات للدولة الجديدة وقامت منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة بمساعدة محدودة، واستطاعت المنظمة الدولية تقرير كيفية حصول ليبيا على الوسائل الإدارية والاجتماعية والاقتصادية لصيانة استقلالها - المزيف - وتعهدت بريطانيا بتقديم ما يسد العجز في الميزانية للسنة المالية 52/ 1953 لولايتي طرابلس وبرقة، وكذلك فرنسا لفزان، وكان التعليم من أهم حاجات البلاد، وحاول (بلت) أن يقدم ما في وسعه من أجل النهوض المطلوب للدولة الجديدة.

وأعلن استقلال بلادنا في 24 ديسمبر سنة 1951م قبل أسبوع من الموعد النهائي الذي حددته الأمم المتحدة، وأصبح الدستور معدًا للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة.

وكان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر وفتحي الكيخيا نائباً له ووزيراً للعدل والمعارف، وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي، وعين الملك إدريس حكام الولايات الثلاثة، وتقدم بطلب انضمام ليبيا للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.

وأصبح المستر (بلت) صديقاً حميماً لليبيين الذين اقتنعوا بالاستقلال، وسمي باسم أدريان (بلت) شارعان مطلان على البحر في كل من طرابلس وبنغازي، وكان حصول ليبيا على استقلالها تحت إشراف الأمم المتحدة دعاية ممتازة للمنظمة الدولية، وغاب في وقع الحياة في ليبيا دستورها الرباني المستمد من عقيدة الشعب ودينه[2]

(1) تاريخ ليبيا، ص(202، 203).

(2) انظر: تاريخ ليبيا بتصرف، وزيادة وحذف، ص(206، 207، 208).

أولاً - أعضاء اللجنة التحضيرية المختصة بالإعداد للجمعية الوطنية:

1 - الشيخ محمد أبو الأسعاد العالم.
2 - أبو الربيع الباروني.
3 - السيد سالم القاضي.
4 - السيد إبراهيم بن شعبان.
5 - السيد سالم المريض.
6 - السيد أحمد عون سوف.
7 - السيد علي رجب.
8 - السيد علي المخطوف.
9 - السيد طاهر الحريري.
10 - الحاج علي بدوي.
11 - السيد أبو القاسم بوقيعة.
12 - السيد أحمد الطبولي.
13 - السيد محمد بن عثمان الصيد.
14 - السيد المهدي (قاضي غدامس).
15 - السيد خليل القلال.
16 - السيد عمر فائق شنيب.
17 - السيد أحمد عقيلة الكزة.
18 - الحاج عبد الكافي السمين.
19 - السيد الطايع البيجو.
20 - السيد محمود بوهدمة.
21 - الحاج رشيد الكخيا[1].

ثانياً - الجمعية الوطنية التأسيسية (لجنة الستين) كل من السادة:

1 - عمر فائف شنيب.
2 - محمد السيفاط بوفروة.
3 - عبد الحميد دلاف.
4 - رافع بوغيطاس.
5 - أحميدة المحجوب.
6 - سالم الأطرش.
7 - خليل القلال.
8 - الطايع البيجو.
9 - أحمد عقيلة الكزة.
10 - محمود بوهدمة.
11 - عبد الكافي السمين.
12 - سليمان الجربي.
13 - محمد بو رحيم.
14 - عبد الجواد الفريطيس.
15 - المبروك الجيباني.
16 - الكيلاني لطيوش.
17 - طاهر العسبلي.
18 - عبد الله عبد الجليل سويكر.
19 - حسين جربوع.
20 - أبو بكر بوذان.
21 - أحمد عون سوف.
22 - عبد العزيز الزقلعي.

(1) انظر: مجلة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، جماد الآخرة 1412هـ، ديسمبر 1991م، السنة العاشرة، العدد 39.

23 - منير برشان.
24 - علي تامر.
25 - أحمد السري.
26 - مختار المنتصر.
27 - سالم المريض.
28 - محمد المنصوري.
29 - محمد الهنقاوي.
30 - محمد أبو الأسعاد العالم.
31 - علي الكالوش.
32 - عبد المجيد كعبار.
33 - عبد الله بن معتوق.
34 - محمد الهمالي.
35 - إبراهيم بن شعبان.
36 - يحيى مسعود بن عيسى.
37 - أبو بكر بونعامة.
38 - محمود المنتصر.
39 - الطاهر القرمانلي.
40 - علي بن سليم.
41 - السنوسي حمادي.
42 - علي بدوي.
43 - الفيتوري بن محمد.
44 - الشريف علي بن محمد.
45 - طاهر القذافي بريدح.
46 - منصور بن محمد.
47 - المبروك بن علي.
48 - طاهر بن محمد.
49 - محمد بن عثمان الصيد[1].
50 - محمد الأمير.
51 - علي عبد الله القطروني.
52 - أبو القاسم بوقيلة.
53 - أحمد الطبولي.
54 - علي السعداوي.
55 - أبو بكر بن أحمد.
56 - السيد سعد.
57 - الأزهر بن علي.
58 - عبد الهادي بن رمضان.
59 - علي المقطوف.
60 - السيد العكرمي[2].

ثالثاً - مبايعة الجمعية الوطنية التأسيسية للأمير محمد إدريس السنوسي ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة عام 1950م:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

(1) مجلة الإنقاذ الوطني، العدد (39)، جماد الآخر 1412هـ، ديسمبر 1991م، ص(24، 25).
(2) المصدر السابق نفسه، ص(26).

نحن ممثلي شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان، المجتمعين في طرابلس الغرب من جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله، والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني، والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها ملكي دستوري نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ما قد منّ علينا من نعمته في تحرير بلادنا واستقلالها، وإننا اعترافاً بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس السنوسي أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها، وتحقيقاً لرغبة الشعب العامة وإقراراً للبيعات الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموّه، وحرصاً على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك نجد فيه المثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي.

فإننا ننادي بسمو الأمير السيد محمد إدريس السنوسي أمير برقة العظيم ونبايعه ملكاً دستوريًا للمملكة الليبية المتحدة، نرجو من جلالته أن يتفضل ويقبل ذلك.

وإننا قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم، وتلقي قبول جلالته لهذه البيعة.

طرابلس الغرب

في يوم السبت 22 صفر الخير سنة 1370هـ

الموافق 2 ديسمبر سنة 1950م[1]

رابعاً - خطاب الملك إدريس بإعلان استقلال ليبيا يوم 24 ديسمبر 1951م:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعبنا الكريم: يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة لجهادها وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في 21 نوفمبر 1949م قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة وإنا لنبتهل إلى المولى بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه ونوجه إلى الأمة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحادث التاريخي السعيد، ونعلن رسميًا أن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً لقب صاحب الجلالة ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر أيضاً بأعظم الاغتباط لبداية العمل منذ الآن بدستور البلاد كما وضعته الجمعية الوطنية في 6 محرم سنة 1371 هجرية الموافق 7 من أكتوبر 1951م، وإنه لمن أعز أمانينا كما تعرفون أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقاً لهذا الدستور،

(1) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ص(155).

ونحن نعاهد الله في هذه الفترة الخطيرة التي تجتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا حتى تحتل بلادنا العزيزة المكان اللائق بها بين الأمم الحرة.

وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما اكتسبناه بثمن غال وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة.

وإننا في هذه الساعة المباركة نذكر أبطالنا ونستمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ونحيي العلم المقدس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد راجين أن يكون العهد خيراً وسلاماً للبلاد ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد، إنه خير معين[1].

وإن من أهم المراجع التي تكلمت عن المملكة الليبية ومعركة الدستور والاستقلال هي:

1 - ليبيا في العصور الحديثة — د. نيقولا زيادة.

2 - ليبيا الحديثة — د. مجيد خدوري (ترجمة نقولا زيادة)

3 - السنوسية دين ودولة — د. محمد فؤاد شكري.

4 - صفحات من المذكرات السرية — عبد الرحمن عزام.

5 - إدريس السنوسي، للأشهب.

خامساً - قصيدة بمناسبة الاستقلال للشاعر الكبير أحمد رفيق المهدوي:

عيد عليه مهابة وجلال ... عيد وحسبك أنه استقلالُ
يوم عليه من السعادة بهجة ... وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد نالت أمة ... ملكاً تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة ... فأهلّ برج السعود هلال
وبدا يسير إلى التكامل بدرها ... فتحققت بظهوره الآمال
وتحررت أعناقنا فتنفست ... أرواحنا وتبسم الإقبال
وتحطمت تلك القيود وكسرت ... تلك الكبول وفكت الأغلال
وإلى حياة حرة في عيدنا ... هذا تكلل بالنجاح نضال
أعظِمْ بعيدِ ألسماء تهللت ... فرحاً به شهداؤنا الأبطال

(1) انظر: الإنقاذ العدد (39)، جمادى الآخر 1412هـ، ديسمبر 1991).

وزهـا بـتـاج الـنـصـر شـعـب قـاده ... مـلـك أغـر كـأنـه الـرئـبـال
يـا أيـهـا الـشـعـب الـكـريـم إلـى الـعـلا ... سـر لا يـعـوقـك فـي الـمـسـيـر كـلال
سـر كـالـزمـان مـع الـزمـان مـلائـمـاً ... إن الـزمـان مـسـيـرة اسـتـعـجـال
قـد أصـبـح الـطـيّـار لا يـرضـي بـه ... عـصـره لـعـلـم الـضـوء فـيـه مـجـال
أضـحـى جـنـاح الـعـلـم قـاب الـقـوس ... مـن قـمـر الـسـمـاء ودونـه أمـيـال
فـابـنـوا عـلـى الـعـلـم الـبـنـاء وأسـسـوا ... بـالـعـدل مـلـكـاً لا يـلـيـه زوال
قـومـوا بـأمـر الـمـلـك شـورى بـيـنـكـم ... إن الـتـحـكـم والـخـلاف وبـال
ومـصـائـب الأوطـان مـن أخـرابـهـا ... إن قـام بـيـن الـمـفـسـديـن جـدال
وتـخـيـروا الـنـواب عـنـكـم واحـذروا ... مـن أن تـقـوم بـأمـركـم جُـهّـال
الـمـلـك مـحـتـاج إلـى تـدبـيـره ... بـعـقـول مـن عـركـتـهـم الأحـوال
بـالـمـخـلـصـيـن وهـم قـلـيـل فـانـظـروا ... فـيـهـم ولا تـغـرركـم الأشـكـال
وإلـى الـشـبـاب الـحـي خـيـر تـحـيـة ... فـهـم الـرجـاء.. وفـيـهـم الآمـال
وعـلـى كـواهـلـهـم وفـي أعـنـاقـهـم ... عـهـد عـلـى أن يـحـفـظـوا مـا نـالـوا
مـا بـالـقـلـيـل ولا الـصـغـيـر فـإنـه ... فـضـل عـظـيـم إنـه اسـتـقـلال
نـصـر عـزيـز جـل مـانـحـه لـه ... مـن روحـنـا الـتـكـبـيـر والإجـلال
عـاش الـمـلـيـك وشـعـبـه وبـلاده ... فـيـعـز دسـتـور زهـاه كـمـال[1]

(1) انظر: إدريس السنوسي للأشهب، ص(203، 204، 205).

المبحث الرابع
الملك إدريس رحمه الله وشيء من سيرته

أولاً - اهتمامه بالدين والعلم والأخلاق:

كان الملك محمد إدريس ﷺ تعالى يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق، ولنستمع إليه وهو يقول:

«إن سنن الإسلام السياسية تعتمد على دعائم متينة محكمة، فلو حفظت هذه السنن وسيست بها الحكومة الإسلامية لما أصاب دولة الإسلام ما أصابها. لا ريب أن ضعف المسلمين يرجع إلى إهمال هذا النظام وتركه، وإذا ما أراد المسلمون أن ينالوا مجدهم فليرجعوا إلى قواعد حكومتهم الأولى ولا يظنوا أن ذلك رجوعاً إلى الوراء؛ بل على العكس فهو التقدم والتكامل»[1].

وقال أيضاً: «إن بعث الروح الإسلامية أمر يحدث قوة لا يستهان بها، ولا سبيل إلى بعث هذه الروح إلا إذا فرقنا بين المدنيتين الحقيقية والصناعية وأخذنا الأولى باليمين والأخرى بالشمال، وفتحنا باب الاجتهاد، ورجعنا إلى قواعد السياسة الإسلامية»[2].

وقال أيضاً: «فمن تخلق منا بغير الأخلاق الإسلامية نجده فاسد التربية منحطاً في مستواه الأخلاقي، معطل الاستعداد الفكري الحر، مشوش العقل والاعتقاد، مقلداً تقليداً أعمى»[3].

وقال أيضاً: «إذا ما أراد المسلمون أن يصلحوا ما فسد من أحوالهم فليرجعوا إلى روح الإسلام؛ لأنه أكثر موافقة لرقي الأمم وسعادة الحياة ومدنيتها، ولن تتبدد هذه الغياهب المظلمة إلا بنور العلم؛ فالإسلام هو الدين الإنساني الطبيعي المسالم لكل من أحب السلام»[4].

لقد كان الملك إدريس ﷺ تعالى نصيراً للدين والعلم والأخلاق، ولذلك قام بتوجيه شعبه منذ تحرير بلادنا من الاستعمار الإيطالي إلى التعليم والإكثار من المدارس، والاهتمام بالأطفال، ولما تولى أمر المملكة الليبية وجه المسؤولين إلى وجوب العناية بالتعليم وتعميمه واهتم بوزارة المعارف، وتبرع بقصر المنار لوزارة المعارف ليكون نواة للجامعة الليبية.

وفي عام 1954م من شهر نوفمبر أصدر الملك إدريس توجيهاته إلى حكام الولايات

---

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(241).
(2) المصدر السابق نفسه ص(241).
(3) انظر: المصدر نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه، ص(241).

الثلاث: برقة، وطرابلس، وفزان لاتخاذ السبل الكفيلة بضرورة تدريس العلوم الدينية على الطلبة في جميع المدارس كمادة أولية مفروضة، وفرض الصلاة في أوقاتها (الخمس) على طلاب المدارس من بنين وبنات في كافة أنحاء المملكة لإعداد هذا الجيل إعداداً إسلاميًّا رشيداً.

واهتم بتطوير معهد السيد محمد بن علي السنوسي حتى أصبح جامعة متميزة من حيث التعليم، والنظام والاستعداد، وكان يحث شعبه على الصلوات الخمس ويحذرهم من المعاصي والذنوب، وقام بتوجيه رئيس الوزراء ورئيس الديوان والولاة الليبيين وحملهم مسؤولية تهاون موظفي الدولة في أداء الصلوات الخمس ومسؤولية شرب الخمر، وحملهم المسؤولية العظمى أمام الله ثم أمام الملك، وكانت حيثيات هذا التوجيه مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة، وكان الإنذار الذي يحمله هذا التوجيه شديداً[1]. وكان يرى أن أركان النصر للشعوب في ثلاثة ركائز بالتمسك بالدين الكامل، والخلف الفاضل والاتحاد الشامل؛ ولذلك قال: «أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل والخلق الفاضل، والاتحاد الشامل؛ فلن يغلب شعب يحرص عل هذه الأركان»[2].

وقال: «الاتحاد العربي ضروري، والعصبية العربية مشروعة ومعقولة شريطة أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية وأن لا تعتدي على حقوق الآخرين»[3].

وقال: «يجب على العرب والمسلمين أن يحرروا الفكر من قيود التقليد وأن يعتبروا الدين صديقاً للعلم»[4].

وقال أيضاً: «لقد نبغ في العرب رجال لو أنهم تماسكوا وتضافروا لأوجدوا في البلاد العربية حركة فكرية»[5] وقال: «إن كل شيء يمكن نيله إذا ما انتصرت حرية الفكر فبدونها لا يحصل أي تقدم ولا أي رقي ولا أي صلاح، ولا يمكننا الوقوف إلى جانب القوى التقدمية إلا إذا عممنا التربية والتعليم كما ينبغي وبذلك ننشئ نَشْأً جديداً يكون أهلاً للنظر وللفكر والعمل»[6].

إن الاهتمام بالدين والعلم والأخلاق عند الملك إدريس رحمه الله نابع من عقيدة الإسلام،

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(243).
(2) المصدر السابق نفسه، ص(246).
(3) المصدر السابق نفسه، ص(246).
(4) المصدر السابق.
(5) انظر: المصدر السابق نفسه، ص(246).
(6) المصدر السابق نفسه، ص(246).

ومن فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويرى أن الحضارة الصحيحة هي التي تقوم على الدين والعلم والأخلاق وبهذه المقومات قامت الحركة السنوسية، فعندما سأله كاتب دانمركي أجرى معه مقابلة صحفية أثناء وجوده بالمنفى عن موقفه تجاه الاحتلال الإيطالي لليبيا آنذاك، فجاء رده مؤكداً لنظرته للحياة الروحية باعتبارها أهم من الوجود المادي، إذ قال في معرض حديثه: «إن الحضارة التي يريد الإيطاليون إدخالها إلى بلادنا تجعل منا عبيداً للظروف ، ولذا وجب علينا أن نحاربهم، فهي تبالغ في إضفاء الأهمية على قشرة الحياة الخارجية، كالتقدم الفني والآلي مثلاً وتعتبر مظاهر الأبهة والسلطان معياراً لا لحكم قيمة الفرد أو الأمة، في حين تستهين بالنمو الداخلي للإنسان، وأستطيع أن أقول لك شيئاً واحداً وهو أنه حيث تسود الدعوة السنوسية يستتب السلام والرضا من كل جانب»[1].

ثانياً - حبه للشعب وحب الشعب له:

عندما عينت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية حكومة مؤقتة في شهر أبريل عام 1951م برئاسة محمود المنتصر رأت الحكومة أهمية زيارة الملك إدريس لمنطقة طرابلس تلبية لرغبة الشعب الطرابلسي لهذه الزيارة؛ ولبى الملك تلك الرغبة وابتهجت المدن الليبية في الغرب بهذه الزيارة واستقبلته الوفود من الرجال والنساء والشيوخ والشباب، وعندما وصل موكبه إلى طرابلس واخترق شارع عمر المختار كان بعض العملاء المندسين يتربصون بالملك الدوائر وقذف موكبه ببعض القنابل ولكن الله سلّم، وظهرت من الملك شجاعة نادرة، وثبات عجيب فلم يهتز من بدنه شعرة واحدة، وما كاد يذاع نبأ هذه المحاولة الفاشلة في ليبيا حتى اجتمعت جموع الشعب في أسرع من لمح البصر من شدة حبها لزعيمها وقائدها وشرعت تهنىء بعضها بسلامة قائدها، وبهذه المناسبة قال أحمد رفيق المهدوي:

وقاك الله من شر الأعادي ... ودام علاك يا أمل البلاد
وعشت لأمة جعلتك رمزاً ... لوحدتها وروحاً للجهاد
حياتك بيننا لله نور ... أيطفىء نوره أهل الفساد؟
أتم الله نعمته علينا ... بحفظك واهتدائك للسداد
فدم ملكاً على عرش متين ... محاطاً بالمحبة والوداد[2]

وقد أجاب الملك إدريس عن هذه الحادثة فقال: «إن هذه الحادثة لم تكن أبداً من ليبي

(1) انظر: الإنقاذ العدد (39)، 29 جماد الآخر 1412هـ، ديسمبر 1991م، ص(66).
(2) انظر: إدريس السنوسي، ص(191).

ولن يقدم عليها أحد من أبناء ليبيا، وإنني أحمد الله جلت قدرته الذي وقى هذه البلاد شر المصائب» إلى أن قال: «والضرر الذي يلحق بقضية البلاد أخطر من الضرر الذي يلحق بشخصنا أو بأي شخص آخر»، وقال: «إننا لسنا من أي حزب ولن نتحزب لحزب دون آخر، وإنما نحن للجميع ونسعى لخير الكل ولصالحهم، هذا هو مبدؤنا الذي فطرنا عليه وعملنا من أجله زهاء ثلاثين سنة، ونحن لا نعتبر أنفسنا إلا فرداً من أفراد هذا الشعب لا يهمه غير مصلحة الشعب ومستقبل البلاد»[1].

وقام بزيارة ترهونة والزاوية وغريان، ويفرن ومصراته وزليطن والخمس، وكان يستقبل من الشعب بالحب والود والوفاء، وقام الشعراء بنظم القصائد تعبيراً عن فرحتهم بهذه المناسبة فقد قال عبد الغني البشتُي:

اليوم يوم المجد والعلياء ... اليوم يوم العزة القعساء
اليوم يوم القطر من سلومة ... للبحر للسودان للخضراء
اليوم يومك ليبيا بل إنه ... يوم العروبة ساطع الأضواء
يوم قد انبعث له من يثرب ... الروضة الفيحاء بالألاء
يوم قد امتدت له من (مكة) ... أنوار طه من بني الزهراء
يوم المليك ومرحباً بك يومه ... يوم أغر بليبيا الفيحاء
إدريس يانسل النبي محمد ... اهنأ بملك في سنى وعلاء
ملك قد اختار الإله مليكه ... من أشرف الآباء والأبناء
تاج على هام القلوب منصب ... ولواؤه في الشرق خير لواء
إني أرى الأملاك في عليائهم ... يتباشرون بسيد البطحاء
يتباشرون بملكه في رفرف ... عال من الأضواء والألاء
لم لا؟ وأنت سليل أحمد من له ... ما يبتغيه المجد من علياء
الله أكبر عشت يا فخر العلا ... للعرب، بل للشرق خير وفاء
تحمي حمى الإسلام ترفع صرحه ... وتعيد فيه بسيرة الخلفاء
مولاي شعبك روعت ألبابه ... يد أرعن يبغيك بالضراء
نفديك بالأرواح إن شئت الغداة ... ونجود بالأموال والأبناء
مولاي: أبقاك الإله لليبيا ... دهراً سعيداً في أعز علاء[2]

(1) المصدر السابق نفسه، ص(192).
(2) انظر: إدريس السنوسي، ص(192، 193).

لقد كانت أعمال الملك من أسباب محبة الليبيين له، فقد أصدر أوامره بأن يعفى من الضريبة الجمركية كل من يرد إلى الديوان الملكي، وبأن لا يلقب بصاحب الجلالة تقدساً بذات الله جل جلاله وقال: «إن الجلالة لله وحده، وما أنا إلا عبد من عباد الله»[1].

ويعتبر هذا الحدث سابقة تاريخية من أروع ما شهد في دنيا الملوك ولقد تأثر ريفلي رئيس جريدة «بريد طرابلس» التي كانت تصدر باللغة الإيطالية لهذا الحدث وكتب مقالاً جاء فيه: «إن الرغبة التي أبداها الملك إدريس ليست في حاجة إلى تعليق؛ لأنه عندما تبوأ العرش كان تواضعه معروفاً، وسهره المتواصل وعطفه ورعايته لشعبه فإن دل هذا على شيء فإنما على الديمقراطية التي تجلت في أسمى معانيها، ولقد أتاح الحظ لليبيا - وهي لا تزال في بداية حياتها - أن تكون على رأسها شخصية صالحة مختارة تخاف الله العلي الأجل، وعندما قبل مهمته الصعبة الخطيرة بأن يقود شعبه إلى ما كتبه له القدر من مصير، فإن ذلك كان استجابة لأمر ربه الذي يمده بنوره فيما يتخذ من قرارات وفي أعماله، وقد تبين له أن لقب (الجلالة) لقب ضخم لا يتفق مع أساسه الديني الذي يرى أن المولى وحده صاحب الجلالة العظمى وهو وحده العلي الأعلى.. ولم يكن هذا التصرف بغريب على الملك محمد إدريس المهدي السنوسي الذي ينحدر من سلالة شريفة أراد الله تعالى أن يمكن في قلبها الإيمان والثقة به، وفي عالمنا هذا الذي يسير سيراً حثيثاً نحو المادية فإن تصرفاً مثل هذا يتعدى أي احتمال ويدل دلالة قاطعة على أن أي مسبب حتى وإن كان ذلك المسبب سامياً يمكنه أن يكون وسيلة لإظهار تواضع منبثق عن عقيدة راسخة في عظمة الله»[2].

وقد حدثني السيد أحمد العرفي عندما كنا معاً في السجن السياسي بطرابلس عن حادثة تدل على تعظيم الملك إدريس للمولى ﷻ وهي أنه كان هناك مسجداً جديداً في مدينة البيضاء وجاء الملك لافتتاحه ومع مجيئه ودخوله المسجد شرع الناس في الهتاف بحياة الملك إدريس، فغضب وأمر الناس بالصمت وقال لهم: هذا المكان لا ينبغي أن يذكر فيه غير اسم الله واستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] ولذلك أحبه شعبه وأحب شعبه المسلم، كانت الإرادات السامية تصدر من الملك لتجسد هذه المعاني الرفيعة من التواضع والبساطة والبعد عن المظاهر وتحاشي الشبهات، فقد أصدر إرادة سامية بأن لا يطلق اسمه على الشوارع والمؤسسات بقصد التمجيد والتخليد محتسباً عند الله ما عمله لصالح أمته وشعبه، وأصدر إرادة سامية بأن لا تنشر صور ذاته على العملة أو على طوابع البريد ابتعاداً عن المظاهر الدنيوية الزائلة، وأصدر إرادة سامية بأن لا يتخذ من ذكرى ميلاده عيداً رسميًّا وأن لا تقام

(1) إدريس السنوسي، ص(232).

(2) انظر: إدريس السنوسي، ص(232، 233).

الاحتفالات بهذه المناسبة، وذلك لأنه ليست مما جرى به العمل في السلف الصالح رضوان الله عليهم[1].

وأصدر أمراً بتعديل قانون البيت المالك، وألغى بموجب ذلك الأمر حصانات وامتيازات الأسرة، كما ألغى ألقاب الإمارة والنبل من أعضاء البيت السنوسي، وأمر أيضاً بأن لا يقبل أية هدية يرى الشعب فرادى أو جماعات أن يقدمها له في أية مناسبة تتعلق بذاته أو غيرها من المناسبات، وبهذه المناسبة صدر بلاغاً من الديوان الملكي يتعلق بأحد المواضيع التي نحن بصددها: «بالنظر لما أشيع من أن هناك هيئات حكومية وشعبية ستقوم بتقديم هدايا ثمينة إلى حضرة مولانا الملك المعظم وذلك بمناسبة قرانه السعيد فقد أمر حفظه الله بأنه لن يقبل هذه الهدايا بدون استثناء، ويطلب من الذين يرغبون في تقديمها إلى مقامه السامي أن يوزعوا المبالغ التي جمعت أو خصصت لهذا الغرض على الفقراء والمعوزين والله يجزي أجر من أحسن عملاً»[2].

كان الملك إدريس رحمه الله يقوم صباح كل يوم مبكراً لأداء صلاة الفجر في وقتها ويشرع في قراءة القرآن الكريم وأوراده اليومية ويتناول إفطاره حوالي الساعة التاسعة، ثم يخرج إلى مكتبه حوالي الساعة العاشرة فيستقبل موظفي الديوان والخاصة الملكية لتصريف الأعمال اليومية، ويستقبل من الضيوف ورجال الحكومة وأصحاب الحاجات من الحادية عشر إلى الواحدة، ثم يتناول طعام الغداء بعد تأدية صلاة الظهر مباشرة، وكانت الجولة البرية من أحب الرياضات عنده وكان يستقبل بعض زواره قبل صلاة المغرب وبعد صلاة العشاء يتناول الشاي عادة مع موظفي القصر وضيوفه وينام عادة حوالي الحادية عشر مساءً.

وكان يحب المطالعة في مكتبته الخاصة ويعكف عليها طويلاً، وأحب ما عنده قراءة القرآن، ودراسة كتب الحديث، ومطالعة كتب التاريخ العام، وكان يحرص في غالب الأحيان على استماع نشرات الأخبار من المذياع.

وكان لا يهتم بالمظاهر في تحركاته، وقد ذكر السيد عمر فائق شنيب قصة طريفة عندما كان رئيس الديوان الملكي: كان مولانا الملك يريد أن يتوجه من بنغازي إلى البيضاء وحضرت سيارات الحرس، ولما شاهدنا قبل التحرك قال لي: لا داعي لأن تكون معنا هذه السيارات ونكتفي بسيارة واحدة تحمل بعض الضروريات، وكان قد فاتني أن أصدر هذا الأمر إلى قائد الحرس، وبينما ونحن في الطريق لفت نظري الملك إلى أمره السابق وقال: لماذا يكون معنا

(1) انظر: مجلة الإنقاذ العدد (29)، ص(76).

(2) انظر: إدريس السنوسي، ص(234).

هذا الحرس؟ فقلت له: يا مولاي إن هذا لم يكن حرساً لكم ولكنه محروساً بكم[1].

كان الملك ﷺ في يوم ربيع 1953م راجعاً من جولته التقليدية ورأى سيارة واقفة بسبب خلل فيها، وكان صاحبها الأستاذ محمد بن عامر، فأمر الملك سائق سيارته أن يقف حتى تلحق به سيارة الحرس وأمر هذه السيارة بأن تعود إلى الأستاذ ابن عامر لتحمله حيث شاء[2].

وخرج الملك إدريس ذات مرة في جولته المسائية المعتادة ولم يصحب معه حرساً ودخل إلى بعض المزارع في منطقة البيضاء، وعندما دخل إلى أحد البساتين وجد صاحب البستان منهمكاً في سقايته فحياه بتحية الإسلام، وكان البستاني لا يعرف الملك شخصيًا ولم يخطر بباله أن الملك يصل إلى ذلك الموقع بمفرده كأي شخص ترمي به الطريق، وبدأ الملك يسأل البستاني عن أنواع الشجر والمحصول وما إلى ذلك، وكان صاحبنا يجيب عن كل سؤال في حين أنه منهمك في عمله، وعندما فرغ الملك من الأسئلة وأراد الانصراف سأله البستاني قائلاً: (من حضرتك من غيار صغاره) وهذا هو سؤال كل شخص في برقة لمن لا يعرفه، فأجابه الملك بقوله: (أنا إدريس) ولشدة دهشة الرجل عندما سمع الإجابة قفز مسرعاً وعانق الملك قائلاً: مرحباً، مرحباً، أنت سيدي إدريس ولد سيدي المهدي، مرحباً، مرحباً، وأخذ يرد الترحاب والتساؤل في استغراب[3].

إن هذه الصفات الرائعة تدلنا على جوانب مضيئة في شخصية الملك إدريس الإسلامية وحبه لمعالي الأمور واهتمامه بالتواضع والبساطة، كما تدلنا على أنه تحصل على قسط من التربية الإيمانية من حركة أجداده الميامين الطيبين الطاهرين.

ثالثاً - نصحه لزعماء العرب، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان كثير الاتصال بجميع إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً أو ناصحاً أميناً، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة لدى كل من الملك عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين أثناء الظروف العصيبة التي مرت بالسعودية واليمن وكان بينهما سوء التفاهم ما كاد أن يكون ثغرة يتسرب منها التدخل الأجنبي، كتب للملك عبد العزيز، والإمام يحيى ناصحاً أميناً، وأظهر كل من الزعيمين تقديره لشعور إدريس السنوسي، وقد تبودل بينه وبينهما عدد من الرسائل في هذا الصدد، وهذه صورة من رسالة أرسلها إلى الملك عبد العزيز ﷺ: قال بعد البسملة: (إلى عين الملوك الكرماء وحامي حوزة الحنيفية السمحاء

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(237).
(2) المصدر السابق نفسه، ص(237).
(3) انظر: إدريس السنوسي، ص(238).

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود أدام الله بدور سعوده، ولا زال يعمر الأنام بعدله العمري وجوده وبعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد بلغنا عن حكم جلالتكم البالغة ما شرح صدر كل ودود، وكمد كل معاند حسود، وجعل كل موحد يرقص لصنعكم طرباً، مفتخراً بجلالكم بين الملوك عجماً وعرباً، فقد جاء حكم جلالتكم العادل في تلك القضية التي كانت بين حكومة جلالتكم وبين حكومة جلالة ملك اليمن كالصاعقة على رؤوس الذين يصطادون في الماء العكر، وهم من بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، فسقط بحمد الله في أيديهم ورد كيدهم في نحرهم، بعدما كانوا يعتقدون أن الدولتين واقعتان لا محالة في حرب، وكانت في نظرهم على قاب قوسين أو أقرب، ولكن الله سلم وكفى الله المؤمنين القتال، بما أوتيتموه من حكمة وروية قضربتم للناس خير مثال، وحمدنا الله كثيراً على أن الدسائس لا تجد منفذاً لجانبكم الحصين، وذلك ليقظتكم وسهركم على مصالح الإسلام والمسلمين، فقد تداركتم الأمر بحكمتكم قبل الفوات، وحزتم بذلك من العالم العربي والإسلامي أصدق الدعوات، وإني أتقدم إليكم أيها الأخ الكريم بخالص شكري القلبي على عدم تفضيلكم المصلحة الخاصة دون المصلحة العامة مما جعل الألسنة تلهج بالدعاء لجلالتكم أبقاكم الله للإسلام ذخراً وعضداً، وللدين الحنيف ركناً وسنداً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمضاء (محمد إدريس السنوسي)[1]

ب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

بذل الملك إدريس رحمه الله ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كانت هناك أمور لم يتدخل فيها لكونها خارجة عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

وإليك أخي القارىء هذه الرسالة التي وجهها إلى الحكومة الاتحادية في 13 يوليو 1960م التي عممت على جميع الإدارات الحكومية، ثم نشرتها الصحف ووسائل الإعلام بسبب حصول ابن عمه عبد الله عابد السنوسي امتياز تنفيذ طريق فزان بكيفية مريبة، فأطلق الملك صرخته المدوية (لقد بلغ السيل الزبى).

وكانت الرسالة موجهة إلى رئيس الحكومة الاتحادية والوزراء والوكلاء، وكل مسؤول بها، وإلى والي طرابلس، ووالي برقة، ووالي فزان ونظارهن ومديريهن ومتصرفهن، وكل مسؤول فيهن: إنه بلغ السيل الزبى، وما يصم الآذان من سوء سيرة المسؤولين في الدولة من

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(227).

أخذ الرشوة سرًا وعلانية، والمحوسبية القاضيتين على كيان الدولة وحسن سمعتها في الداخل والخارج، مع تبذير أموالها سراً وعلانية، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

ولقد قال رسول الله ﷺ في حديثه الشريف: **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»**.

وقد قال رسول الله ﷺ في حديثه: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**.

وإنني بنعمة الله وقدرته سوف أغيره بيدي إن شاء الله ولن تأخذني في الله ولا في طهارة سمعة بلادي لومة لائم والسلام. وبالرغم من إن التحقيقات التي أجريت قد أثبتت براءة ذمة حكومة كعبار من التهم التي علقت بها، إلا أن الملك رأى أن نزاهة الحكم لا تتحمل وجود مثل تلك الشبهات، فطلب من الحكومة تقديم استقالتها، فتقدمت بها وقبلها الملك في 16 أكتوبر 1960م[1].

رابعاً - أدب العبارة في خطاب الملك إدريس وسمو معانيها وتواضعها الجم والدعوة إلى الخير والتقوى:

تميزت خطابات ملك ليبيا السابق برصانة الأسلوب، ومتانة التعبير، وقوة الحجة، وحرص الراعي على الرعية، ونصحه لشعبه، وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق، وهذا خطاب ألقاه بمناسبة توحيد الحكم في المملكة وألغى الحكم الاتحادي في عام 1963م يوم 26 أبريل يؤكد ما ذهبت إليه: مواطنيَّ الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

في هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها أمتنا المجيدة، وفي هذه المرحلة التي يجتازها ركبنا الصاعد يسرني غاية السرور أن أعلن للشعب الليبي الكريم انتهاء العمل بشكل الحكم الاتحادي والبدء رسميًا في نظام الوحدة الشاملة الكاملة تطبيقاً للتعديل الدستوري الذي وافقت عليه المجالس النيابية والتشريعية بالإجماع، وإنني لأحمد الله تعالى كثير الحمد وأتوجه إليه بالشكر العظيم والثناء الجميل على ما منّ به سبحانه وتعالى من نعمة حتى مشاهدة ولادة هذا الأمل الوطني الكبير ووفقنا جميعاً بتأييده وعونه إلى تحقيق هذه الأمنية الغالية.

إن الوحدة التي تبدأ اليوم عهدها الميمون هدف جديد من أهدافنا الوطنية التي جاهدنا من أجلها وضحى شعبنا في سبيلها، فهي ثمرة طيبة للجهاد ووفاء لأجر الصابرين، وهي بعد ذلك،

(1) انظر: مجلة الإنقاذ العدد (29)، ص(69، 70).

خير وبركة ورمز لاجتماع الكلمة وتآلف القلوب ووعاء للمحبة والتآخي والوئام ومبدأ يتبوأ مكان السمو في عالم الأخلاق والفضيلة، وحبل الله المتين الذي أمرنا سبحانه وتعالى بالاعتصام بعروته الوثقى، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103] وهو الدين القويم دين سيدنا محمد ﷺ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46] وقال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

فالحمد لله الذي جمع على المحبة قلوبنا ووحد على الوفاق بلادنا وجعلنا من أمة التوحيد التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وإني لأنتهز فرصة إعلان الوحدة المباركة السعيدة فأوصيكم جميعاً بتقوى الله تعالى ومراعاة وجهه في السر والعلن، وأحثكم على مضاعفة الجهد وبذل المزيد من العمل حتى نوفر لبلادنا الازدهار والرخاء والرفاهية ونعيش جميعاً في ظل الوحدة أمة قوية في خلقها، عزيزة في شخصيتها، متينة في بنائها، نظيفة في سمعتها، إن الوحدة تلقي على كواهلنا مسؤوليات جساماً وتضع نصب أعيننا واجبات كثيرة فعلينا أن نقوم بها ونحافظ عليها، كما نحافظ على استقلالنا ونحوطها بالرعاية والحدب، ونغذيها بمشاعر المحبة والوطنية حتى نستمر في طريق النمو والاكتمال، فالوحدة ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة إلى عمل الخير وطريق إلى آفاق الإصلاح والفلاح، وواجبنا أن نأخذ منها القاعدة الصالحة للانطلاق إلى الأهداف العليا، ومصباح النور الذي ينير مواقع خطواتنا في طريق العمل الدؤوب والسعي المجدي والتعاون المثمر المفيد، إن كل مواطن مسؤول عن حماية الوحدة وتفرض هذه المسؤولية أن شعار الوحدة، تحت لوائه الخفاق كل السواعد العاملة، والهمم المتوثبة، والكفاءات الخلاقة، ويشمل كل بقعة تستظل بسماء هذا الوطن العزيز ويستمتع كل مواطن بخيراتها العميمة، ويعيش في كنفها عيشة الطمأنينة والسعادة والاستقرار، أبلغ شكر لنعمة ضيافتها، وأسمى مراتب الحق أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، وألهمنا الرشد والصواب، وجعل وحدتنا فاتحة عهد سعيد يفيض خيره ويزيد نفعه وتعم بركاته، ونبدأ مرحلة تنشط فيها العزائم، وتقوى الإرادات، فإنه تعالى أقرب مسؤول يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ومنه الهداية والتوفيق وإليه الملجأ والمصير[1].

إن هذا الخطاب مليء بأدب العبارة، وسمو المعاني، والتواضع الجم والدعوة إلى الخير والبر والتقوى.

---

(1) انظر: مجلة الإنقاذ العدد (29)، ص(63).

خامساً - اهتمام الملك إدريس بالثورة الجزائرية:

كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر، وواصل الملك إدريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت في 1/ 11/ 1954م وقد أثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة، وأعماله الجسيمة في هذا الباب، فقد ذكر السيد مصطفى أحمد بن حليم في كتابه «صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي» في الباب التاسع تحت عنوان: «ثورة الجزائر ودور ليبيا الخطير في مساندتها» ما يقيم الحجة والبرهان على صدق الملك إدريس لدعمه للثورة الجزائرية، فقد ذكر السيد مصطفى بن حليم عندما كان بالقاهرة أن الرئيس جمال عبد الناصر اتصل به ودعاه لاجتماع منفرد معه، وفاجأه قائلاً: إنه يود أن يتحدث معه عن الثورة الجزائرية التي اندلعت، وشرح جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية، وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله إلى الحدود الليبية وهو يأمل أن يشرف رئيس الحكومة (السيد مصطفى بن حليم) بنفسه بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبيا إلى الحدود الجزائرية حيث يستلمه منه ممثلو الثورة الجزائرية ثم قال جمال عبد الناصر لمصطفى بن حليم: «أو لعلك ستخشى الفرنسيين وتخاف بطشهم؟».

فرد عليه مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا سابقاً وقال له: «يا ريس لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء إلى ليبيا من الجزائر هارباً من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشر الدعوة الإسلامية وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي، ووالد الملك إدريس ظل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر، حتى لقي وجه ربه، والسيد أحمد الشريف والملك إدريس أفنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان...»[1]. ورد جمال عبد الناصر على هذه الإجابة المقنعة بقوله: «ألا تستوعب الدعابة؟ إنني أعرف كل هذا وأعرف أن الليبيين أبطال جهاد ولكنني أرغب أن أرى رد فعلك.. وتبين لي أنك مغربي حاد المزاج لا تتقبل الدعابة بروح مرحة»[2].

كانت القوات البريطانية المتواجدة في ليبيا والمنتشرة على طول البلاد من طبرق إلى غرب طرابلس والجواسيس الإنكليز يسيطرون على مراكز حساسة، وموظفون من الإنكليز أيضاً في شرطة ولاية طرابلس، وفرنسا لا تزال تحتل جنوب ليبيا (فزان) ولسفاراتها في طرابلس وبنغازي جهاز مخابرات من الطراز الأول وله أعوان وعيون منتشرة في طول البلاد وعرضها، بين السيد

(1 - 2) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(351).

ابن حليم تلك الملابسات لجمال عبد الناصر الذي أجاب: «إنني على علم تام بأن ما أطلبه منك عمل ينطوي على خطورة كبيرة، ومغامرة خطيرة. . .»[1] ثم أضاف: «لولا أنني مطمئن لوطنية الملك إدريس ووطنيتك وحرصكما الشديد على تحرير الشمال الإفريقي من نير الاستعمار الفرنسي البغيض لما طلبت منكم ما طلبت، وعلى أية حال فأنا رهن إشارتكم لأي عون أو نصح أو مساعدة في سبيل هدفنا النبيل لتخليص الجزائر من ربقة الاستعمار» بعد ذلك قام جمال عبد الناصر بتعريف مصطفى بن حليم بالسيد أحمد بن بلّا[2].

كان قائد قوة دفاع الفريق محمود بوقويطين لا يثق في جمال عبد الناصر ويراه حريصاً على تفجير القلاقل وزعزعة النظام داخل ليبيا ولربما اتخذ من ستار مرور السلاح إلى الجزائر وسيلة لتوزيع السلاح داخل ليبيا ضد المملكة وعُرِض الأمرُ على الملك ﷺ فقال: «من ناحية لا يمكننا أن نرفض مساعدة ثوار الجزائر في جهادهم، هذا واجب ديني محتم علينا تلبيته ولا يمكننا أن نتردد في القيام به. . ومن ناحية أخرى فإنني لا أريد أن أعرّض استقلال هذا الوطن الذي ضحينا في سبيله بكل عزيز وغال واستشهد في سبيله مئات الآلاف من الليبيين، ولا أود أن أقامر بهذا الاستقلال خصوصاً مع فرنسا التي خرجت عن طورها وترتكب كل يوم الكثير من الجرائم والحماقات في قمع كل حركة استقلالية في الشمال الإفريقي. . . ومع توتر علاقتنا مع فرنسا بعد طلبنا إجلاء قواتها عن فزان فإنها ستلتمس أي عذر لترتكب معنا حماقة كبرى. . .)[3].

لقد وافق الملك إدريس على تمرير السلاح من مصر عبر الأراضي الليبية وقام بتوجيه وزير الوزراء والمسؤولين عن هذه الأمور باتخاذ الأسباب اللازمة للجمع بين الأمرين؛ مساعدة المجاهدين في الجزائر، وعدم تعريض استقلال البلاد لأي هزة من أي نوع كانت؛ وقام مدير عام قوة دفاع برقة الفريق محمود بوقويطين باتخاذ إجراءات الرقابة التي ستصاحب قوافل السلاح عبر برقة، واتخذ رئيس الوزراء مجموعة خيرة من ضباط مدينة طرابلس يشرف عليهم المجاهد العقيد عبد الحميد بيّ درنه للإشراف على هذه المهمة الخطيرة، وباشراليبيون مع إخوانهم الجزائريين تنفيذ ما اتفقوا عليه وتسرب السلاح من ليبيا إلى الجزائر تدريجيًا واستمر هذا الحال في سرّية وكفاءة تامتين لمدة سنة تقريباً وكان الملك ﷺ يبارك تلك الأعمال الجبارة[4].

ويحدثنا السيد مصطفى بن حليم عن قصة طريفة حدثت له مع السفير الفرنسي في ليبيا حيث قال: أذكر هنا قصة طريفة حدثت في منتصف سنة 1955م، فقد كنا في أوائل الصيف وأذكر كان يوم خميس وكنت على موعد مع الأخ أحمد بن بلّا (من زعماء ثورة الجزائر) وبعض

(1 - 2) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(352).

(3) انظر: المصدر السابق، ص(353).

(4) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(354، 355، 356).

مساعديه، دعوتهم للغداء ثم التباحث بعد ذلك في أمور السلاح والعتاد والثورة. . . وأثناء النهار اتصلت بي وزارة الخارجية الليبية تقول إن السفير الفرنسي يلح في طلب مقابلتي حاملاً رسالة من إدجار فور رئيس الحكومة الفرنسية، وبدون تفكير قلت: ليحضر السفير الساعة الخامسة إلى المنزل (منزل رئيس الحكومة) ناسياً موعدي السابق مع ابن بلاّ وجماعته، ورجعت إلى مسكني عند الثالثة وتناولت الغداء مع الأخ أحمد وجماعته والعقيد بيّ درنه ومساعديه، ثم بدأنا مناقشة طويلة لاختيار أحسن المواقع التي تخزن فيها شحنات السلاح القادمة، وأثناء انهماكنا في هذه المناقشة الدقيقة دخل كبير المباشرين (وبرغم أوامري بعدم دخول أحد علينا في ذلك الاجتماع) واستأذن وأسرّ في أذني أن السفير الفرنسي وصل وأدخله في الصالون المجاور!! وارتبكت ثم قلت للأخ أحمد بن بلاّ: أستأذنكم لبضع دقائق فقد حان موعد كنت نسيته مع السفير الفرنسي! وأضفت: لعله لم يسمع مناقشتنا. . ! وذهبت لاستقبال (مسيو دي مارساي) الذي كان يحمل لي رسالة عاجلة من رئيس وزراء فرنسا يرجو المساعدة في القبض عن طريق العدالة الفرنسية على المدعو (بن بلاّ)! وتمكنت بصعوبة كبيرة من السيطرة على عضلات وجهي وكتم ضحكة ساخرة. . . وقلت للسفير أرجو أن تحضروا لنا صوراً للمجرم (ابن بلاّ) صوراً مواجهة وصوراً جانبية ووصفاً دقيقاً للرجل وتقدموا هذه المعلومات للسير يجادير جايلزبك في طرابلس وللفريق بوقويطن في برقة، وسأصدر تعليماتي لهما بمساعدتكم بكافة الوسائل، وودعت السفير ثم استأنفت الاجتماع فسألني الأخ أحمد عن سبب زيارة السفير قلت: أراد المساعدة في القبض عليك! قال: وماذا قلت له؟ قلت: وعدته بالمساعدة بعدما يقدم لي تفاصيل كافية تمكن رجال الشرطة من القبض عليك! وضحكنا كثيراً. .)[1].

لقد تدهورت العلاقات بين ليبيا وفرنسا بعدما تأكد للحكومة الفرنسية أن ليبيا تقف وراء حركة الجهاد في الجزائر مؤيدة لها قولاً وفعلاً، وتسربت الأخبار عن الدور السري الخطير الذي كانت تقوم به ليبيا بزعامة ملكها في مساندة الشعب الجزائري ومده بالسلاح والعتاد، بالإضافة إلى التأييد السياسي والمعنوي إثر اعتراض الطيران الفرنسي للطائرة التي كانت تحمل أحمد بن بلاّ ورفاقه وهم في طريقهم من الرباط إلى تونس، وأرغمت الطائرة على الهبوط في مطار الجزائر وتم اعتقالهم هناك[2].

لقد استشاط غضباً نواب اليمين في البرلمان الفرنسي ووصلت حملتهم على دور ليبيا في نصرة حركة الجهاد في الجزائر حد الهستيريا، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تحاول التملص من وعودها بالجلاء عن الجنوب الليبي في فترة أقصاها نوفمبر سنة 1956م وقامت

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(357، 358).
(2) المصدر السابق نفسه، ص(359).

فرنسا بإرسال السفير (بالائي) إلى الحكومة الليبية وأبلغها بأن الحكومة الفرنسية لا تستطيع أن تنفذ جلاء قواتها عن فزان بعد ما تبين لها مواقف الحكومة الليبية المعادية لفرنسا، وكان رد رئيس الوزراء الليبي بأن حكومته سوف ترفع القضية إلى مجلس الأمن وطلبت من الرئيس أيزنهاور الأمريكي لكي يتدخل وينصح حلفاءه الفرنسيين باحترام ميثاقهم مع ليبيا[1].

لقد وقف الملك وحكومته وشعبه مع القضية الجزائرية، وكانت الحكومة الليبية شديدة الحرص على الادعاء بأنها تقف موقفاً محايداً تماماً، فبينما تعطف على آمال الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا أنها لا تساعد على أعمال العنف! ولذلك فهي تدعو فرنسا وثوار الجزائر إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات للوصول إلى حل سلمي! كان كل هذا ستاراً دبلوماسيًا؛ لأن مساعدات ليبيا للجزائر زادت نوعاً ومقداراً، بل سمح للمؤسسات الشعبية في أنحاء ليبيا بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائري وجمع التبرعات، وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية، وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية، وكانت الحكومة الليبية برئاسة ابن حليم تدعي أن لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية، وأن خير سبيل أمام فرنسا هو الاستجابة لنصائحها باتباع الطرق السلمية مع الثورة الجزائرية وإيقاف أعمال القمع والقتل والتشريد التي تقوم بها القوات الفرنسية في الجزائر[2].

كان رئيس الحكومة الليبية مصطفى بن حليم متعاطفاً مع القضية الجزائرية ووجد دعماً معنوياً من الملك نفسه، فمضى في طريقه بثقة واطمئنان، حتى أنه لما زار عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ليبيا في عام 1957م في شهر فبراير اختلى ابن حليم بعدنان مندريس وبدأ بحديثه عن دور الأتراك العظيم في نشر الإسلام وزعامتهم للأمة الإسلامية عبر قرون عديدة من التاريخ الإسلامي المجيد، وشدد على روابط الدين التي تربط الأتراك ببقية الأمة الإسلامية، وعلى أن لتركيا دورها الإسلامي العظيم بالرغم من دعاوي العلمانية، ثم عرّج بحديثه عن شمال أفريقيا وشرح لمندريس مدى الظلم والقتل والتشريد الذي يعاني منه شعب الجزائر المجاهد ومحاولات فرنسا قمع ثورته الإسلامية وتنصيره وفرنسته، ثم دخل في صلب الموضوع وقال لعدنان بك: «إنني آمل أملاً قويًا أن تمد تركيا الشقيقة المسلمة الكبرى يد المساعدة لشعب الجزائر المجاهد في محنته الراهنة».

قال عدنان مندريس: إنه كمسلم يعطف بكل جوارحه على الشعوب الإسلامية جميعاً وبنوع خاص على شعوب الشمال الإفريقي وهو على إدراك تام بما يعانيه الشعب الجزائري في حربه الاستقلالية ثم قال: «ولقد بذلت تركيا الكثير من المساعي السرية الحميدة لدى حكومة

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(360).

(2) المصدر السابق نفسه، ص(358، 359).

باريس موصية وناصحة بأن مشكلة الجزائر لا تحل بالقوة والقمع بل بحلول سياسية وتفاوض مع ممثلي سكان الجزائر، وأضاف إنه على استعداد لمضاعفة هذه المساعي بل وتوسيعها بحيث تشمل ضغطاً وديًا لدى دول حلف الأطلنطي الأخرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا، وقام السيد مصطفى بن حليم يشكر عدنان مندريس على مساعيه الدبلوماسية الطيبة وحثه على المواصلة وقال له: «إن مساعدة شعب الجزائر تتطلب أكثر من المساعي الحميدة فهي تتطلب عوناً ماديًا، مالاً وسلاحاً» ونظر عدنان مندريس إلى مصطفى بن حليم وظهر على وجهه الاضطراب واختفت الابتسامة التي كانت تلازمه كثيراً، ثم قال للسيد مصطفى بن حليم: يا أخي العزيز أنت تعرف أن تركيا عضو هام في حلف الأطلسي فكيف ترى أن تقدم لثوار الجزائر سلاحاً من سلاح الحلف (الأطلسي) لكي يحاربوا به عضواً هامًا آخر من ذات الحلف أعني فرنسا؟ فقال مصطفى بن حليم: أنا أعرف أن تركيا من أقوى الدول الإسلامية وهي التي كانت تتولى القيادة والريادة للأمة الإسلامية لقرون عديدة، فكيف ترى أنت يا أخي العزيز ألا تمد تركيا العون المادي للجزائريين المسلمين الذين تقتلهم قوات فرنسا وتشردهم أو تعذبهم أنكل التعذيب؟ وما لهم من ذنب إلا أنهم يسعون لنيل حريتهم واستقلالهم؟

كرر مندريس مخاوفه الشديدة من عواقب اكتشاف أية شبهة بأن تركيا تمد الثورة الجزائرية بأي عون مادي.. وكرر عدة مرات بأن هذا سيسبب طرد تركيا من حلف الأطلسي وهو الركيزة الرئيسية التي يرتكز عليها دفاع تركيا في مواجهة الخطر الروسي العظيم، وكان ابن حليم يشعر بأن مخاوف عدنان مندريس حقيقية فهدأ من روعه وقال له: إن الثورة الجزائرية في أشد الحاجة إلى أنواع كثيرة من الأسلحة الحديثة وهذه الأسلحة متوفرة لديكم، فإذا أعطيتكم كشفاً مفصلاً بهذه الأسلحة وأهديتموه أنتم إلى شقيقتكم ليبيا فليس في هذا ما يثير أي شك أو ريب لدى فرنسا، وقال مصطفى لعدنان: إن الليبيين سوف يقومون بتسريب السلاح إلى الإخوان الجزائريين تدريجيًا، وواعده بأن لا يعلم هذا السر إلا القيادة الجزائرية العليا، بل عدد قليل من أفراد تلك القيادة العليا، وواصل ابن حليم حديثه مع ضيفه رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس واستعرض له ماضي تركيا الإسلامي وتاريخها في الذود عن الإسلام، وإعلاء كلمته ومزج السياسة بالعاطفة الدينية، إلى أن قال عدنان مندريس: سنقدم لكم هدية السلاح، وأرجو الله أن يوفقكم في إيصالها لأولئك الذين يحتاجونها في الدفاع عن دينهم، أما نحن في تركيا فإننا نقدم الهدية لجيش ليبيا الشقيقة فقط، وشدد على المحافظة على السرية المطلقة، وبعد أسابيع قليلة وصلت هدية السلاح التركي واستلمها الجيش الليبي في احتفال عسكري ثم بدأ تسريبها تدريجيًا إلى مجاهدي الجزائر[1].

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(361، 362، 363).

كان الملك إدريس رحمه الله بعيد النظر، فبعد أن استقال السيد مصطفى بن حليم من الحكومة في آخر مايو عام 1957م عينه مستشاراً خاصاً له بمرتب رئيس وزراء وأصر على بقاء ابن حليم في خدمة الدولة، وشرح الملك لرئيس وزرائه السابق أنه سيحتاج إليه قريباً، ثم عرض عليه أن يرسله سفيراً لليبيا في باريس، لأن علاقته الممتازة مع رجال الثورة الجزائرية، ولأن الحكومة الفرنسية قد وصلت لقناعة بأن قضية الجزائر لا تُحل عسكريًا وإنما بالمفاوضة مع سكان الجزائر، وعندما رد ابن حليم على الملك بقوله: إن الحكومة الفرنسية أصبحت على علم تام بالدور الذي قام به في مساعدة الثورة الجزائرية وتهريب السلاح والعتاد لها، وإن الثقة منعدمة بينهم وبينه، رد الملك بأن هذا هو خير مؤهل يجعل الحكومة الفرنسية تستعمل مساعيك كقناة للوساطة مع الثورة الجزائرية لتأكدها من أن زعماء الجزائر سيتقبلون نصحك قبولاً حسناً ويثقون بما تنقل لهم من اقترحات وأضاف الملك: «عليك أن تكمل رسالتك نحو الثورة الجزائرية»[1] لقد كانت مهمة سفير ليبيا في فرنسا البحث مع الحكومة الفرنسية عن سبل سلمية لإعطاء الجزائر حق تقرير مصيره، وتشجيع الحكومة الفرنسية على انتهاج سياسة التفاهم والتفاوض مع جبهة تحرير الجزائر والإقلاع عن سياسة القمع والعنف والتشريد ضد الشعب الجزائري[2].

وبدأ السفير مصطفى بن حليم بتنفيذ دوره الذي رسمه له الملك، وقام الملك إدريس بطلب رسمي من الجنرال ديجول الذي أصبح رئيساً للجمهورية بأن يطلق سراح أحمد بن بلّا ورفاقه من السجن، أو على الأقل أن يخفف وطأة السجن إلى إقامة جبرية أو شيء من هذا القبيل، وأجاب الجنرال ديجول على طلب الملك إدريس بواسطة سفير ليبيا بفرنسا مصطفى بن حليم الذي حمله ديجول رسالة إلى الملك إدريس بأن مسعاه لن يذهب سدى، وبعد أيام نُقل أحمد بن بلّا ورفاقه إلى فيلا في ضاحية (شانتيي) بجوار باريس[3].

وفي يناير عام 1961م، زار ليبيا الكونت دوباري، موفداً من طرف الجنرال ديغول رئيس الجمهورية آنذاك، واستقبله محمد عثمان الصيد بصفته رئيساً للحكومة في طرابلس وكان الكونت دوباري يحمل رسالة خطية من ديغول للملك إدريس السنوسي، وأبلغ المبعوث الفرنسي السيد محمد الصيد رئيس الوزراء أن الجنرال ديجول يريد إبلاغ الملك إدريس عبر هذه الرسالة، أن فرنسا ستعمل قريباً على إيجاد حل لقضية الجزائر يضمن مصلحة الجزائريين ويلبي المطامح العربية، لكنه يرجو من القادة العرب خاصة أولئك الذين تعرف عليهم إبان الحرب العالمية الثانية، ومنهم الملك إدريس تفهم ظروف فرنسا الداخلية، ومساعدته حتى يمكن إخراج

(1) انظر: صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، ص(364).
(2) المصدر السابق نفسه، ص(366).
(3) المصدر السابق نفسه، ص(374، 375).

هذا الحل إلى حيز الوجود، وبالفعل لم تمضِ أربعة أشهر حتى بدأت مفاوضات الاستقلال بين فرنسا والجزائر في 20 مايو 1961م في إيفيان.

عقب إطلاق سراح أحمد بن بلّا ورفاقه الأربعة، وكان يطلق عليهم (الزعماء الخمسة) من السجون الفرنسية، قام هؤلاء الزعماء بزيارة إلى ليبيا واحتفى بهم الليبيون حكومة وشعباً احتفاءً كبيراً، واستقبلهم الملك إدريس السنوسي، وحثهم على التضامن ونكران الذات وذكرهم بالحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول ﷺ: **«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»** وطلب منهم الاهتداء بهذا الحديث ودعاهم إلى نبذ جميع أشكال الخلاف والشقاق والأنانية التي تضر إن وجدت بالجزائر واستقلالها.

كانت الحكومات الليبية المتعاقبة بعد حكومة ابن حليم تدعم ثورة الجزائر وكان من وراء ذلك التأييد غير المنقطع الملك إدريس بتوجيهاته المستمرة، وكان يكن في أعماقه عطفاً خاصًا على ثورة الجزائر الإسلامية.

إن المملكة الليبية بحكومتها وشعبها ساعدت ثوار الجزائر في معركتهم المقدسة ضد فرنسا وقاموا بمد الثورة بالسلاح والذخائر والمساعدات وقد حدثني السيد محمد القاضي عبد الكبير الذي كان معي في المعتقل السياسي بطرابلس عام 1983م وكان حاكماً لمنطقة فزان زمن المملكة فقد أخبرني عن إشراف الحكومة على مخازن الأسلحة وتوصيلها للمجاهدين في الجزائر، وقد توفي رحمه الله بعد خروجه من السجن وقد قضى في سجون ليبيا من عام 1969م إلى سنة 1988م وكان رجلاً عجيباً في دينه وصفاء فطرته، حفظ القرآن الكريم بعد الخامسة والأربعين من عمره، وكان يتحدث الإنجليزية والفرنسية والإيطالية وكان شعلة من النشاط والاجتهاد والتعليم وقد جاوز الستين من عمره، وكان يحافظ على صيام السنن، والنوافل، والقيام، والرياضة البدنية، وكان يقول لي: إن أمله في الله أن يغفر له ذنوبه وأن يكون سجنه تكفيراً للذنوب والخطايا، وأن السجن وقفة مع الذات وفرصة لمحاسبة النفس لا تعوض أبداً وإن الذي أكرمني الله به في السجن لولا أن الله منّ علي به ما تحصلت عليه أبداً وما وصلت إليه، لقد كان فريداً في سنه، وفريداً في نشاطه، فرحمة الله عليه.

إن جميع الساسة والقادة العسكريين زمن المملكة الليبية والذين كانت لهم علاقة مباشرة بمد الثورة في الجزائر يشهدون أن الملك رحمه الله كان مسانداً لحركة الثورة، وحريصاً على نجاحها، ولم يقصر معها لاماديًا، ولا معنويًا.

المبحث الخامس

نظرة في كتاب الملك إدريس رحمه الله في اتحاد العرب وائتلاف الموحدين وبعض المقابلات الصحفية

هذا الكتاب ذكره المؤرخ الليبي محمد الطيب الأشهب ﷺ تعالى ونقل لنا منه نقولاً ولا ندري أين الكتاب الآن، كان هذا الكتاب قد وضعه إدريس السنوسي بقلمه كرسالة شاملة في عام 1929م شكلت بحثاً سياسيًا علميًا عامًا، تنال فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته، فجاء بحثاً متميزاً مدعوماً بالحجج العقلية، والبراهين المنطقية، والأدلة التاريخية وتحدث فيه عن العوائق، والمشاكل التي تواجه تقدم العالمين «الإسلامي والعربي» والأسباب التي أخّرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية، وتحدث عن الخلافة الإسلامية ومالها وما عليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن المشاكل الدولية وعن الاستعمار وأهدافه، وعن المدنية الإسلامية والحضارة العربية، وعن دولة الإسلام وما تلاها من دول وحكومات عربية، وتحدث عن الأخطاء التي ارتكبت في مختلف عصور التاريخ الإسلامي والعربي، ثم انتقل من هذه المواضيع العامة إلى موضوع الوحدة العربية وما يقاسونه[1].

أولاً - حديثه عن الوحدة العربية وحالة العرب:

قال ﷺ: كل إنسان يعرف أن جزيرة العرب كانت قبل البعثة النبوية مضطربة بفعل الجهالة والفوضى والشقاق إلى أن قال: وكان لا بد من إصلاح أساس النظام، وعلى هذه الحاجة ظهر الإسلام.

وقال في موضع آخر من بحثه: صار العرب بعد زوال الحكومات العربية تابعين لكل متبوع ولم يعنوا برفعة أمتهم، ولم ينتبهوا من رقدتهم وبالأخص منهم من كانت دياره محتلة بالحكومات غير العربية، لقد فسدت أخلاقهم وسجاياهم تحت سيطرة الدول المختلفة، وظلوا ناسين عظمتهم ومدنيتهم وقد تعودوا طأطأة الرؤوس للذل، ومن الطبيعي أن لا تحتفظ أمة ببأسها وسجاياها وخصالها في سلطان حكومة مستبدة، وهكذا شرع العرب يتغيرون ويفسدون، على أن العرب لن ينسوا جنسيتهم وقتاً ما، وليس فيهم من خرج عن عروبته.

إن عروبة العرب الماضية لتؤثر تأثيرها النفسي الآن، وإن التاريخ يعيد نفسه، وإن العربية

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(218).

مثل الإسلام صبغة لا تزول، واستطرد إدريس السنوسي في بحثه إلى أن قال: فإذا نال العرب استقلالهم أو استقلت كل مقاطعة عربية إداريًا، واتحدت مع بقية أخواتها فإنهن يقمن إمبراطورية عظيمة وحكومة متحدة على نسق واحد.

واستطرد في حديثه عن العرب إلى أن قال: إنهم محتاجون إلى تربية أخلاقية، وتنمية عقولهم المنهوكة منذ مدة من الزمن حتى يستردوا شملهم العربي وأخلاقهم العالية، وفي الحقيقة أن جملة البلاد العربية أصبحت في سبات عما يراد بها من الممالك الأخرى، ولن تستيقظ إلا على أصوات مدافع المستعمرين، ورب أمة لا تعرف نفسها حتى تصاب بمظالم الأجانب[1].

ثانياً - الأخوة الإسلامية والعروبة:

قال: حقًا إن الإسلام يمنع تغلب الجنسية ولكن لا يأبى تكامل الأمم إذا لم يضر بسائر البلاد الإسلامية، ولم يضيع الأخوة الدينية والذي يمكنه الرقي في هذا العصر هو الذي يفهم الإحساس القومي، ولا يمكن الرقي بغير هذا؛ لأن الارتقاء رهين باتحاد الجماعات وتعاونها، والكمال لا يكون إلا بالأمة كلها، وما كان لرقي الأفراد إلى الآن فائدة كبيرة في الأمة، ولهذه الأمنية يربي السياسيون الأمم، والاتحاد القومي موجود بنفسه، ويكفي فيه أن يكون الإنسان عربيًا، فإن الفرد من هذه الأمة العربية يدرك بفطرته وبفكره الأول أنه ابن هذه الأمة التي زلزلت الأرض حيناً من الزمن، وحق له أن يفهم ذلك، وهذا العصر هو عصر القوميات فلا تستطيع الأمة العربية أن تقف بعيداً عن هذا التيار، والعرب هم أساس الإسلام ومنشؤه فإذا ما تماسكوا وتكاتفوا وشدوا أزرهم ينهض الإسلام بلا ريب، ولا خوف على المسلمين من تفرق الكلمة إذا ما عرب الجزيرة نهضوا، ومن أجل هذا نرى أن العصبية العربية معقولة ومشروعة، بل وضرورية، على شرط أن لا تتعارض مع الأخوة الإسلامية، وأن لا تتعدى على الآخرين وبهذه الوسيلة تقوى الأمة العربية ويقوى الإسلام معها[2].

ثالثاً - الحجاز وهو قطب رحى الجزيرة العربية:

قال الملك إدريس رحمه الله: لا ريب أن الحجاز هو قطب رحى الجزيرة العربية، ومنه منشأ الرجال الذين نشروا في العالم أسمى مبادىء الحرية وعلموا الناس أجمل معاني العدل، والتسامح، والعلم، والقابض الآن على أزمة أموره هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفي بلاد اليمن جلالة الإمام يحيى بن حميد الدين، وهذان الملكان المستقلان المسيطران على

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(218).

(2) انظر: المصدر السابق نفسه.

صميم أحفاد عدنان وقحطان لا ريب في أنهما يشعران بثقل المسؤولية أمام الله وأمام أهل الجزيرة وعموم المسلمين، وهما الآن أمام صحيفة يسطر لهما التاريخ فيها من جديد كما سطر لغيرهما في الماضي، ولا يعزب عن ذكائهما كيف يجب أن تدار دفة الأمور لإعادة مجد العرب والإسلام وتعريف الأمم ما تجهله من مدنيتهم وآدابهم وحضارتهم، وليس هناك ما يقرب بين الشعوب ويعرف بعضها بالبعض الآخر غير الأعمال المجيدة النافعة والآخذة بأسباب الإصلاح من كل وجوهه المعلومة في هذا العصر، عصر المعارف والفنون، فعليهما أن يعرفا كيف يقودان صميم الأمة العربية من أحفاد عدنان وقحطان في القرن العشرين، إنهما يريدان أن يقفا بالأمة العربية في مستوى واحد مع الأمم التي سبقتهم الآن بمراحل، فعليهما إذن أن يستعدا للكفاح في معترك هذه الحياة، وعليهما أن يخلقا في أرض الجزيرة حيث لا امتيازات ولا عوائق مدنية جديدة شعباً قادراً على السير وحده، ولم يكن هذا بالشيء العسير؛ لأن الفرصة سانحة للعمل[1].

رابعاً - العمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي:

وقال أيضاً: والعمل الإصلاحي على وجهين: ديني ومادي، أما الديني فهو تحرير الفكر من قيد التقليد، واعتبار الدين صديقاً للعلم وحاكماً عليه، وفهم الدين على طريقة السلف الصالح، ووضع ترتيبات ونظام للحج يكفل راحة الحجاج ورفاهيتهم وأمنهم، وأما المادي فهو: الاتحاد وتحسين المواصلات في البلاد العربية، ومد السكك الحديدية، وخطوط التلغراف، والتليفون وتعميمها، وتعبيد الطرقات لسير السيارات فبذلك ترتبط الممالك ارتباطاً منظماً، ثم وضع برامج واسعة وثابتة لنشر المعارف في عموم أنحاء المملكة بتعميم المدارس الدينية والثقافية، وتأسيس جماعة عربية بمكة لتعمل على ترقية الأمة العربية فنيًا وأدبيًا ولتنظيم الوحدة ومتجه السير وحرية الرأي، ثم المداومة على عقد المؤتمر الإسلامي في كل سنة أوان الحج وتنظيم طرق الدعاية إليه ونشرها في عموم الأقطار الإسلامية والعربية[2].

خامساً - الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان:

وقال: إن الزعيم الأساسي هو الذي يؤسس حكومة راسخة البنيان لا تزول بزوال الأفراد والأسر، وهو صاحب النظريات السامية التي تؤثر في حياة الأجيال مع المحافظة على دوام السلام بقدر المستطاع ومراعاة الظروف الواقعية حتى لا يعتري بنيانه الخلل وهو لا يزال وليداً[3].

(1 - 2) انظر: إدريس السنوسي، ص(219).

(3) انظر: إدريس السنوسي، ص(220).

سادساً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص:

وقال أيضاً: أيها العرب اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، فإن الواجب المقدس يدعوكم أن توحدوا صفوفكم وأن تجاهدوا جميعاً في سبيل الذود عن حياض بلادكم ودينكم، وليس الجهاد هو القتال فحسب، بل إن أول الجهاد هو أن تعرفوا معنى الأخوة العربية وتوحيد السبيل، ثم تدافعوا بكل ما استطعتم كلما أمكنكم الدفاع، وأوله باليد، وليس معنى ذلك هو إشهار السلاح فقط، ولكنه التعلم، تعلم كل ما يمكن أن تتفوقون به من الصنائع، وباللسان أي ببذل كل ما أوتيتم من النصيحة والإرشاد، وبالقلم، أي بتأسيس الصحف وارتباطها ببعضها لتوحيد الفكرة وتوجيه الرأي العام، وبعمل الملاجىء، والمستشفيات للفقراء واليتامى والمرض حتى لا يضطرون إلى الالتجاء للمؤسسات الأجنبية التي قد تدس لهم السم من عقائد دخيلة، ومذاهب فاسدة، ثم إنشاء المدارس الوطنية وتشجيع التجارة الوطنية والاكتفاء بمصنوعات البلاد.

وبعد أن تحدث في هذا الموضوع بإسهاب قال: والشعب العربي هو الآن على أبواب نهضة عظيمة ستتجاوز بعون الله ما كان عليه قبل قرون، وإن التاريخ سيعيد نفسه، والأحفاد - كما قيل - هم سر الجدود.

إن الشعب العربي له مواهبه العظيمة في الحزب والسياسة، وفي العلم والإقدام، هذا ما لا ينكره أحد، والبلاد العربية في نظر عموم المسلمين متقدمة، ولها المكان المرموق لوجود البيت الحرام وكذلك قبر النبي ﷺ وبيت المقدس[1].

وقال في مكان آخر من البحث: إن الإسلام معناه الاتحاد، والإسلام واحد لا يقبل التجزئة ولكن مع الأسف الشديد فقد أدى الجدل الكلامي إلى الاختلاف فتفرق المسلمون إلى معتزلة وأهل سنة، وتفرقت المعتزلة شعباً، وتفرق أهل السنة في الاجتهاد إلى مذاهب وهذا الاختلاف تجاذبته الأغراض السياسية، ولا سبيل لحسم هذا الخلاف إلا بالعودة إلى الإسلام الذي بينه صاحب الرسالة على بساطة أسلوبه وسمو معانيه وجوهره[2].

فلنفكر قليلاً في إنصاف وتعقل، ولننظر إلى الحقيقة، ولنرجع إلى أوامر النبي ﷺ وكنه الإسلام ونستعرض هذه المصائب التي انتابتنا منذ عصور طويلة، فإنه لا يوجد شيء مهلك كمنازعتنا معشر المسلمين... إلى أن قال: إن هذه الفوضى أفسدت الجماعة الإسلامية جيلاً بعد جيل، وأفسدت الثبات والصبر والسعي المضطرد والاجتهاد والتفكير، ثم قال: إن

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(221).

(2) المصدر السابق نفسه، ص(221).

المسلمين لعدم تمسكهم بروح الإسلام أصبحوا في ضعف وانحطاط، وقد ذهب استعدادهم الفكري لانكبابهم على المنقولات، فالتقليد في الفكر لم يكن فضيلة، فكيف نقف هكذا صغاراً أمام الماضي؟ وكيف ننتظر من أسلافنا كل شيء كمن ينتظر الميراث ليعيش به؟[1].

هذه بعض النقولات من كتابه «اتحاد العرب وائتلاف الموحدين» يعطي الباحث خطوطاً عريضة في نظرة الملك إدريس رحمه الله لبعض القضايا التي تتعلق بنهوض الأمة وسعيها نحو التمكين.

وزيادة في إيضاح المنهج السياسي الذي كان يتبناه الملك إدريس ننقل هذه المقابلة الصحفية التي أجريت عام 1942م بين الملك ومندوب جريدة «البصيرة» التي كانت تصدر في الإسكندرية حيث أجاب على عدة أسئلة تتعلق بالوحدة العربية، ونهوض الأمة فقال: من المشاهد الآن أن العالم يسعى إلى التكتل داخل مجموعات قوية كبيرة، والعرب في بلادهم المختلفة لا حياة لهم أقصد - حياة العز والقوة - إلا إذا اتحدوا داخل نطاق من التعاون التام، التعاون الذي يجمع بين الثقافة والصناعة والاقتصاد، وبذلك تستطيع المجموعة العربية الكبيرة المؤلفة من ثمانين مليوناً أن تحتفظ لنفسها بين الأمم العالمية بمكانة مرموقة محترمة، والوحدة العربية عندي أقرب إلى التحقيق في وقتنا الحاضر من اتحاد شرقي إسلامي، فإنه من المشاهد في بقاع الأرض المختلفة أن وحدة الدم واللسان والثقافة هي أكبر العوامل في تقارب الشعوب، واتحاد المصالح، وهذه الأمور جميعها متوفرة في الأمم العربية أكثر من توافرها في العالم الإسلامي، زد على هذا أن الأمم العربية متجاوزة الحدود، ومتقاربة التخوم مما يجعل الاتحاد بينها أقوى أثراً وأسرع تنفيذاً، وأجاب عن سؤال آخر لنفس المندوب بقوله:

إن الواجب المقدس الذي يحتمه الدين وتفرضه الوطنية على كل عربي هو أن يجاهد الطغيان بكافة الوسائل التي يملكها حتى يزول هذا الرعب الزاحف وتشرق شمس الحرية والكرامة الإنسانية على الأمم العربية والعالم أجمع من جديد[2].

وعن سؤال آخر أجاب: إن الأهداف التي نرمي إليها والتي طالما سفكنا دماءنا في سبيل تحقيقها هي الحرية الكاملة، والاستقلال الشامل، ولا ننسى نحن الطرابلسيين واجباتنا حيال النهضة العربية الكبرى باعتبارنا وحدة من الوحدات التي تتكون منها المجموعة العربية. سنعمل كما عملنا في السابق متعاونين مع الأحرار العالميين على أن يسود الشرق العربي روح النهوض

(1) انظر: إدريس السنوسي، ص(221).
(2) انظر: المصدر نفسه، ص(225).

في المرافق العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية حتى يؤدي رسالته الإنسانية ويستعيد مجده الغابر[1].

وعندما التقت به مجلة «صوت الشرق» في فبراير عام 1957م وجهت له بعض الأسئلة فأجاب: إن ليبيا تمد يدها لكل عربي شقيق بإخلاص، واضعة كل مالها وأناسها في سبيل نصرة حرية هذا البلد، وتأييده في الذود عن حياضه وعزته وكرامته، ولن ننسى أبداً نصرة وتأييد البلاد العربية الشقيقة، والبلاد الحرة الصديقة لنا في جهادنا وكفاحنا في سبيل تحقيق استقلال ليبيا وتحريرها من الاستعمار، إلى أن قال: أنصح العرب الأشقاء بالتمسك بالدين الكامل، والخلق الفاضل، والاتحاد الشامل، فلن يغلب شعب يحرص على هذه الأمور الثلاثة[2].

إن دراسة كتابه المذكور، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولا توجد لديه رؤية سياسية واضحة ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب.

إن حياة هذا الرجل لغنية بالعبر والدروس والمواعظ، التي تحتاجها الأجيال الصاعدة التي تستلهم من الماضي ما يفيدها في حاضرها ومستقبلها وفق رؤية وتصور نابع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

سابعاً: مكانة الصحافة في زمن الملك إدريس، وحرية الكلمة في مجلس النواب:

إن كثيراً من الحكام والملوك والقادة لا يتحملون النقد، ولا كلمة الحق الموجهة إلى حكوماتهم أو ذواتهم ويقتدون بفرعون مصر الذي قال الله فيه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 29] ويستعملون كافة الأساليب الوحشية لتكميم الأفواه، ومصادرة الحريات ويبررون مواقفهم أمام شعوبهم عند قمع الأخيار والمصلحين كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: 26].

وهكذا كل الطغاة يقولونها عندما يواجهون المصلحين، وكلما تواجه الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان، على توالي الزمان واختلاف المكان.

وهكذا الطغاة في كل زمان ومكان يقدمون أنفسهم على أنهم الحريصون على الفضائل، الغيورون على الأخلاق، الراغبون في التعمير والتقدم، والأمن والازدهار، بينما يقدمون أهل الخير والصلاح على أنهم مفسدون مخربون ضالون، مضلون، أعداء الله والأمة والوطن،

(1 - 2) إدريس السنوسي، ص(226).

وحلفاء الشيطان ورؤوس الفتنة، ودعاة الضلال، ولهذا يجب القضاء عليهم قبل تحقيق أهدافهم الخبيثة[1].

إن الملك إدريس ﷺ سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم، وشجع الصحافة والنواب على قول كلمة الحق، وحتى الذين يتجاوزون حدود القانون من المعارضة يعترفون بالمعاملة الحسنة التي يلاقونها من الشرطة، فقد ذكر الأستاذ محمد بشير المغيربي في كتابه: وثائق جمعية عمر المختار ما يدل على ما ذهبت إليه فقد قال: «لا بد أن أقول بعد كل ذلك إننا طيلة تلك المرحلة ونحن نعارض ونواجه بحدة وبشدة وتتخذ ضدنا إجراءات بالسجن والاعتقال والنفي وتحديد الإقامة إننا لم نتعرض لإهانة أو إذلال معنوي أو جسدي، بل إن كل ما طبق علينا من تلك الإجراءات كان في جو من الاحترام وبما لا يجرح كرامتنا أو يحط من إنسانيتنا...»[2].

إن من يدرس دور الصحافة في فترة الملك يلاحظ أنها كانت حرة ولكل شخص الحق في حرية التعبير عن رأيه وفي إذاعة الآراء والأنباء بمختلف الوسائل، وذلك في حقوق الحق الدستوري المنظم لقانون المطبوعات الذي ظهر عام 1959م.

كان قانون المطبوعات يشترط موافقة مجلس الوزراء على وقف إصدار الصحيفة مما أعطاها منعة وحصانة ضد أي قرار تعسفي في حالة تفرد جهة معينة بذلك، وأعطت الحكومة الليبية زمن الملك السابق ﷺ حرية للصحف في مباشرة نشاطها دون تدخل أو تعويق إداري، ورغم أنه بدرت من الحكومة بعض الممارسات التعسفية في حق بعض الصحف إلا أن طبيعة النظام الحاكم كانت دائماً تعطي مجالاً وبراحاً للأخذ والعطاء، كما أن دستورية المؤسسات تضمن للصحف والمجلات حقوقها، وعندما قامت الحكومة في عام 1952م بإغلاق صحيفة «التاج» عارضت الصحيفة ذلك القرار، ورفعت دعوى ضد الحكومة وألقى الشاعر أحمد رفيق المهدوي قصيدة في تجمع لرفض القرار جاء فيها:

«التاج» يشكو لرب التاج ما لاقى ... من الوزارة تعطيلاً وإغلاقا
وزارة جاوزت ما لا يطاق فأكثرت ... على الشعب أعناقاً وإرهاقا

وقد نشرت القصيدة في اليوم التالي في جميع الصحف ولم يتعرض الشاعر لأي أذى ويوم تعرضت صحيفتي «البلاغ» و«الميدان» للإغلاق ودخلت هذه الصحف في معارك قضائية

(1) انظر: قصص السابقين للخالدي، (5/ 105).
(2) انظر: وثائق جمعية عمر المختار، ص(8).

عنيفة ضد وزارة الإعلام كانت هذه الصحف تدافع عن وجهة نظرها علانية أمام الجميع وفي المحاكم وكانت هناك نوعان من الصحافة: حكومية وأهلية:

أ - فالصحافة الحكومية من أشهرها (ليبيا الحديثة، برقة الجديدة، فزان، وطرابلس الغرب) ومع كونها حكومية إلا أنها لم تخل في مرات عديدة من نقد واضح للسلطات الحاكمة، رغم كونها من أدواتها الإعلامية، ونذكر هنا بالقصيدة الشعبية التي نشرتها صحيفة حكومية:

(وين ثروة البترول يا سمسارة اللي ع الجرائد نسمع بأخباره)

وقد تضمنت القصيدة رسالة جريئة وعنيفة في مهاجمة الحكومة[1].

ب - أما الصحافة الأهلية وهي قائمة على الشكل التجاري فكانت تتلقى دعماً غير مباشر من الحكومة على هيئة (إعلانات - اشتراكات) وبقدر ما كان ذلك يشكل دعماً ماليًا عُد بمثابة ضغط غير مباشر وربما قيدها أحياناً عن التمتع بحرية كاملة وقد ساهمت في إنضاج الرأي العام المحلي وتوعيته سياسيًا، وقد عرفت صحف «كالبلاغ» و«الرقيب» بمقالاتها المنتقدة للحكومة، كما اشتهرت صحيفة «الحقيقة» بأسلوبها الساخر في تناول الحكومة والتعريف بمساوئها، ولم تتوان الصحف بما فيها الحكومية عن نقدها وفضحها لبعض مشاريع الدولة حتى تلك التي كان وراءها مقربون كعبد الله عابد السنوسي (مشروع طريق فزان)، حيث نشرت القصة لأول مرة في صحيفة «المساء» في 20/ 8/ 1960م تقدمت المعارضة على أثرها بطلب إسقاط حكومة عبد المجيد كعبار عن طريق البرلمان وهو ما حدث في 16/ 10/ 1960م.

وأهم الصحف والجرائد التي ظهرت في زمن المملكة الليبية وقبلها بقليل هي:

1 - صحيفة (الوطن) أنشأها مصطفى بن عامر 1943م.

2 - صحيفة (التاج) لصاحبها عمر الأشهب ظهرت عام 1951م.

3 - مجلة (ليبيا) أنشأها مصطفى بن عامر 1951م.

4 - صحيفة (شعلة الحرية) أنشأها أحمد زارم 1951م.

5 - صحيفة (الصريح) أسسها إبراهيم أحمد البكباك 1951م.

6 - صحيفة (الليبي) أنشأها علي محمد الديب سنة 1951م.

7 - صحيفة (المنار) مؤسسها عمر الأشهب 1952م.

8 - صحيفة (الدفاع) أسسها صالح بويصير 1952م.

9 - صحيفة (اللواء) أسسها علي رجب 1952م.

---

(1) انظر: الإنقاذ، العدد (39) بقلم طاهر أحمد، ص(78، 79).

10 - صحيفة (البشائر) مؤسسها علي زاقوب 1953م.

11 - صحيفة (الزمان) أسسها عمر الأشهب 1954م.

12 - مجلة(طرابلس الغرب) أصدرها مكتب المطبوعات والصحافة والنشر الحكومي سنة 1954م.

13 - صحيفة (طرابلس الغرب) رئيس تحريرها فخر الدين عبد السلام أبو خطوة 1954م.

14 - مجلة (صوت المربي) صدرعن اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين ظهرت عام 1955م.

15 - مجلة (النور) صاحب الامتياز عقيلة بالعون العدد الأول 1/ 5/ 1957م.

16 - مجلة (الأفكار) ورئيس تحريرها راسم قدري 1955م[1].

17 - صحيفة (الرائد) أنشأها بشير يوسف الطوبي سنة 1956م.

18 - مجلة (الضياء) صاحب الامتياز عمر الأشهب أول عدد 1/ 3/ 1957م.

19 - صحيفة (العمل) أحمد حسين أبو هدمه 1958م.

20 - صحيفة (الطليعة) سالم علي شيته 1958م.

21 - صحيفة (الرقيب) رئيس تحريرها رجب المغربي 1961م.

22 - مجلة (الهدى الإسلامي) الشيخ محمد أمين هلال رجب 1381هـ - 1961م.

23 - صحيفة (البلاغ) لصاحبها علي وريث 1963م.

24 - صحيفة (الأمة) رئيس تحريرها عبد الله عبد المجيد 1963م.

25 - صحيفة (الميدان) فاضل المسعودي 1964م.

26 - صحيفة (الحرية) رئيس تحريرها محمد عمر الطاشاني 1964.

27 - صحيفة (الحقيقة) صاحبها محمد بشير الهوني 1966م.

28 - صحيفة (الديلي نيوز) رئيس تحريرها عبد الرحمن خليفة الشاطر.

29 - صحيفة (الريبورتاج) رئيس تحريرها عبد القادر طه الطويل 1967م.

30 - صحيفة (الشعلة) رئيس تحريرها حسين الكيلاني الضريريط 1967م.

31 - صحيفة (الفجر) محمد فريد سيالة.

32 - صحيفة (ليبيا الحديثة) رئيس تحريرها صالحين عبد الجليل عمر.

---

(1) الإنقاذ، العدد (39)، جمادى الآخرة، 1412هـ، ديسمبر 1991، ص(80).

33 - مجلة الإذاعة، الكشاف، صحف برقة، طرابلس، الرأي العام، ليبيا تايمز[1].

وهذا العرض لأسماء الصحف والجرائد يدل على نهضة فكرية وسياسية جيدة للغاية، كما يدل على مرونة الملك وحكومته وبعدهم عن مصادرة الأصوات المعارضة لسياسة الدولة.

الأستاذ مصطفى بن عامر وكلمة حول الميزانية العامة في مجلس النواب:

كانت العناصر الحية، والحريصة على مصلحة شعبنا تستطيع أن تتكلم بكل وضوح وصراحة في مجلس الأمة، ويحفظ لنا التاريخ مرافعة مهمة في مجلس الأمة الليبي عام 1955م وقد تكلم الكثير ممن نقدوا سياسة الحكومة من أمثال الشيخ عبد العزيز الزقلعي وغيره إلا أن مرافعة الأستاذ مصطفى بن عامر كانت أقوى بياناً وأوضح حجة، وأدق عبارة، وأسهل أسلوباً، ومرافعته التاريخية يلاحظ الباحث وجود حرية في القول والنقد والتعبير تمتع بها نواب الشعب وتلك الحرية حسنة من حسنات ذلك النظام الذي كان يقوده الملك إدريس رحمه الله.

وقد جاء في كلمة مصطفى بن عامر في مرافعته: «لقد سبق لي وأنا لست عضواً في المجلس حين وضعت المعاهدة البريطانية والاتفاقية الأمريكية أمامكم لتقولوا كلمتكم فيها، أن أبلغتكم آرائي عن هذين القيدين الحديدين اللذين صيغا للبلاد وأعدا لمنع تقدمها من طريق العزة والكرامة والحرية رغم ما قدمته بريطانيا وأمريكا إلى خزينة الحكومات من فتات الإعانات، وفضلات المساعدات التي ظهرت أرقاماً ضخمة في الميزانية الحالية والميزانيات السابقة، ولكن أي أثر أحدثته تلك الأرقام الضخمة في النهضة الاقتصادية، وفي العدالة الاجتماعية، اللهم إلا إذا أحدثنا تعريفاً لحقيقة النهضة وحقيقة العدالة وفسرناهما تفسيراً يتمشى مع الأوضاع السائدة التي تقوم على ترف الأقلية، وبؤس الأغلبية، واعتبار الفساد ضرورة لا بد منها، والإصلاح حلماً من أحلام الطيش والغرور، لقد مددنا أيدينا للإنكليز والأمريكان وأخذنا منهم الشلنات والدولارات، وأعطيناهم أعز ما نملك وأكرم ما نحرص عليه فماذا عملنا بما أخذنا؟ لا شيء، . . أين موقفنا هذا من ذلك الموقف الذي كنا نقفه في وجه الإدارة البريطانية السابقة عندما كانت تدعي وجود عجز في الميزانية وما كان يبلغ نصف مليون جنيه وكنا نعتبر هذا العجز مفتعل نتيجة الإسراف المقصود لإقامة حجة علينا؟ ومع ذلك فقد عاشت ليبيا تحت حكم الإدارة البريطانية تسعة أعوام تخللتها سنون عجاف كان الجفاف فيها أشد من الجفاف الآن، لكننا لم نشاهد بؤساً كما نشاهد اليوم، ولم يمت أحد من الجوع مثلما حدث في هذا الوقت كما أعلن ذلك أحد النواب المحترمين في قاعة المجلس بالرغم من وجود القمح الأمريكي الذي ظن أنه لن يترك بيتاً جائعاً.

(1) الإنقاذ، العدد (39)، ص(80، 81).

والآن نريد أن نعرف ما معنى أن نصبح دولة مستقلة ذات سيادة؟ معنى ذلك أن تضخم أرقام الميزانية حتى يقال أنها ميزانية دولة لا ميزانية مستعمرة ونبني المنازل لسكنى الوزراء ونقيم العمارات ونؤثثها وننشىء المكاتب الفاخرة ونستورد السيارات والسخانات وآلات التدفئة والمكانس الكهربائية ومكيفات الهواء وتنقل من عاصمة إلى عاصمة ونبعث بالسفراء والوزراء إلى أمريكا والشرق.

أمعنى ذلك أن يصبح جميعاً وزراء ونظاراً وأعضاء مجالس نيابية وتشريعية ورؤساء دوائر ومتصرفين ومدراء ومستشارين وسكرتيرين وكتاباً وطباعين ومباشرين ونتقاضى الرواتب والمكافآت والعلاوات ونتطاحن على التعيينات والترقيات والدرجات؟. أمعنى ذلك أن نشمخ بأنوفنا حينما نقلد منصباً حكوميًا ونمشي في الأرض مرحاً ونأبى أن نخاطب إلا بالعرائض ومن وراء حجاب ونمسي ونصبح وإذا هنا خلق لا عهد له بهذه الدنيا ومن فيها؟ لعل هذا هو المعنى الذي أدركه المسؤولون من إعلان الاستقلال وقيام دولة وممارسة السيادة، لعل هذا هو المعنى الذي أدركوه وطبقوه وتفهموا فقراته، على من تصرف الأموال وعلى من تنفق؟.

لا بل انظروا حواليكم أيها السادة، كم كلفكم هذا الأثاث الفخم الذي يحيط بكم؟ ألم تكن هناك مقاعد صاحلة ولائقة قبل هذه وإن كانت غير جميلة ولا أنيقة ولكنها كانت كافية بل فوق الكافية؟.

لِمَ أنفقتم آلاف الجنيهات في هذه المظاهر والمناظر وميزانيتكم تئن من العجز والأجنبي يحتل بلادكم وشعبكم يرزح تحت أثقال عيشة بائسة؟ أريد أن أعرف أهذا هو معنى الاستقلال أم هو الإسراف والتبذير والأبهة والترف؟ وأين الاقتصاد والإنتاج والعمل والاجتهاد؟ أريد الجلوس على الكراسي العادية والمناضد الخشبية قليلة التكاليف، فماذا يلحقنا من ضرر لو أننا فعلنا ذلك اللهم إلا الأجر عند الله والذكر الحسن عند الشعب ومن وراء ذلك خير الوطن ونفع البلاد، بل إني أستطيع أن أتطرق في التوفير وعدم التبذير إلى أبعد من ذلك.

وأتصور عندما أعلن استقلال ليبيا وقيل إن في ميزانيتها عجزاً يحتاج تغطية من المساعدات الأجنبية، واجتمع أول مجلس نيابي يمثل البلاد أتصور أن هذا المجلس رفض أن يكلف ميزانية الدولة الناشئة أي شيء لحساب أثاث قاعة وفضل أعضاؤه المحترمون البساطة على كل ما عداها وأن يأتي الزوار من هنا وهناك لينظروا إلى ممثلي الشعب وهم يضربون أروع الأمثلة في التقشف والعزوف عن المظاهر على حساب الأمة الفقيرة وهم يباشرون أعمالهم لمصلحة أمتهم على هذه الصورة الرائعة الخالية من الزخرف والبهرجة كأنهم في بيت من بيوت الله يعبدون الله بالعمل لصالح المجموع، فنحن مسلمون وشعار الإسلام في كل عمل عبادة.

أيكون ذلك لو كان دليلاً على تأخر وانحطاط؟ لم لا يكون دليلاً على وعي كامل وشعور رفيع بالمسؤولية وتفهم عال لحقيقة الاستقلال وبداية سليمة قوية في تشييد الكيان السليم

القويم؟ ولعل عشاق المظاهر يرون في ذلك عاراً ومهزلة لا يليق أن توصم بهما دولتنا الفتية وليس من الكرامة والشرف أن يجتمع مجلس الأمة على تلك الصورة. وإلى أولئك أذكر أن العار الذي يطمس الشرف هو أن يسمح لأقدام المحتلين أن تدوس أرضنا وهي عرضنا مقابل حفنة من المال ننفقها على مظاهر كاذبة ومناظر زائلة، والمهزلة التي تطيح بالكرامة هي أن نتجاهل قدر أنفسنا وحقيقة وضعنا وظروفنا وإمكاناتنا.

إني أشعر وأنا أتصفح الميزانية بأسى عميق وأسف شديد، إذ أن ذاكرتي تعود بي إلى الماضي القريب المليء بالآمال وأستعرض الذكريات وأقارن بينها وبين الحاضر المشحون بالآلام وأتطلع إلى المستقبل فلا أملك إلا التوجه إلى الله أن يلطف بنا ويهيىء لنا من أمرنا رشداً.

أذكر أيها السادة ذلك اليوم الأغر الذي صدر فيه قرار هيئة الأمم المتحدة التاريخي باستقلال ليبيا (مساء 21 نوفمبر 1949) وأذكر أن جريدة كتبت في اليوم التالي تعليق على هذا القرار: (منذ البارحة سيكون علينا أن نعمل وننتج أكثر مما قاتلنا وكافحنا، وسيكون علينا أن نكد ونجد حتى يفوق ما نصبه من عرق وما ذرفناه من دموع وأهرقناه من دماء أمامنا تركة عهدين يتطلبان التصفية النهائية حتى لا نكون بعد ذلك مطالبين بميراث عهد الإيطاليين الذين خرجوا من ديارنا بعد صراع عنيف وضحايا جمة وخلفوا ممتلكات مدمرة وعامرة ولكنها كلها ملك شرعي في أرض الوطن لأهل الوطن. . . وعهد البريطانيين الذين قسموا البلاد الواحدة واقتسموها سلباً حلال، وضيعوا عليها الفرص وشوهوا معالمها ووضعوا في طريق نهضتها كل معرقل وعائق، أمامنا هذه التركة أو هذه المشكلة التي يجب أن يوضع لها حد، ثم أمامنا ما أمام كل شعب مثلنا من الحاجة إلى إحصاء كل ماله وما عليه وتفهم كل دقيقة من لوازمه وضرورياته وتنسيق جميع متطلباته في جدول تراعي فيه الأهمية والأسبقية ثم المباشرة في العمل بما يستحق من العناية والإتقان في صغير الأمور وكبيرها.

هذا الكلام قالته الجريدة منذ خمسة أعوام وكأنها تلخص برنامجاً يجب أن تسير عليه الدولة الجديدة إذا أرادت أن تكون دولة، قالت هذا وقلوب الجميع مفعمة بالآمال، والآن أعود لتلاوة ما قلت ونفسي مليئة بالآلام، كيف لا أيها السادة؟ ونحن بدل أن نكد ونجد تخاذلنا وتكاسلنا، وبدل أن نقتصد ونجتهد أسرفنا ويذرنا أن نصفي التركة المتروكة جميعاً نحن من أنفسنا تركة في الحاجة إلى تصفية.

وبدل أن نحل المشكلة التي تواجهنا زدنا عليها مشاكل لا يمكن حلها وبدل أن ننتج أصبحنا نستجدي الإغاثة ونجلس في طلب الصدقة بدلاً من أن نحصي ونتفهم ضرورياتنا ولوازمنا صرنا نفرط في الكماليات حتى جعلناها ضرورة لازمة.

والاستقلال معنا أن نعيش في بلادنا ونملك أمر نفوسنا ولا نكن عالة على غيرنا في أي أمر من الأمور.. من أجل هذا الاستقلال بذلنا الأرواح وأهرقنا الدماء وذرفنا الدموع ولكي نحافظ على هذا الاستقلال، بهذا المعنى كان يجب أن نعصر أجسامنا عرقاً نتيجة الكد والجهد حتى نوفر المبالغ التي تسدد عجزنا ولكننا عكسنا الأمر وقبلنا الوضع، فلا بد من التضحية ولا بد من نكران الذات وضرب الأمثال للأجيال القادمة في الإخلاص والتفاني إلى أبعد الحدود[1].

لقد كانت مرافعة الأستاذ مصطفى بن عامر في مجلس الأمة في سنة1955م مفخرة تاريخية للأجيال حيث أن من أجدادنا من هو بهذه الشجاعة والإخلاص والحرص على تحرير البلاد من الغاصبين والدعوة إلى الأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى هذا السبيل، وإن شعبنا في هذه الفترة الحرجة من تاريخه الجهادي لهو أحوج إلى أمثال الأستاذ مصطفى بن عامر لخوض معارك التحرير الفعلية في كافة مجالاتها التشريعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.... إلى آخره.

فنحو أسلمة بلادنا الحبيبة وإرجاع عز الأمة التليد نحن ساعون وعلى ربنا متوكلون.

ثامناً: استقالة الملك عام 1965م الأولى واستقالته قبل الانقلاب العسكري بأشهر عام 1969م:

مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الملك وأن يقدم استقالته، ويترك إلى الشعب أو ممثله إسناد الأمر إلى من أحق منه أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب، ولذلك لم يتردد الملك إدريس في عام 1965م في عهد حكومة السيد محمود المنتصر الثانية أن يقدم استقالته بسبب التقدم في العمر، وخشيته نتيجة لذلك من التقصير في القيام بما عليه من الواجب والمسؤوليات إلى البرلمان الليبي تاركاً له أن يتخذ ما يراه مناسباً من نظام للحكم لصالح البلاد، ومن رئيس للدولة فيها؛ ولكنه عندما تقاطرت إلى مدينة طبرق، حيث كان يقيم الملك الجماهير الغفيرة من مختلف أطراف البلاد، وفي مقدمتهم الكثيرون من كبار قادة البلاد بما في ذلك قادة المعارضة فيها، وأحاط الآلاف منهم بالقصر عدة أيام يطالبون بإلحاح الملك المحبوب بالعدول عن استقالته، وبقائه ملكاً لبلاده إلى ما شاء الله، فإنه لم يكن بوسع الملك سوى الرجوع عن هذه الاستقالة، موضحاً إن استقالته هذه كان قد تحدث بشأنها من قبل مع بعض رؤساء الحكومات الليبية، الذين كان من بينهم السيد مصطفى بن حليم، والسيد محمد بن عثمان الصيد، وهي كانت فقط بسبب تقدمه في السن، وخشيته من يؤدي ذلك إلى التقصير في حسن القيام بما عليه من المسؤوليات، ولم تكن هذه الاستقالة بسبب

(1) انظر: وثائق جمعية عمر المختار، لمحمد المغيربي، ص(410، 411، 412).

خلاف مع الحكومة الليبية أو البرلمان الليبي، حيث كان كل منهما كما ذكر الملك قائماً بواجبه، وباذلاً جهده في خدمة البلاد، ولكنه أمام معارضتهم لهذه الاستقالة فلا يسعه إلا العدول عنها، على أن يكون لهم الحق في رفع يده عن الحكم إذا ما شعروا، مستقبلاً بعجزه عن حمل ما عليه من الواجبات وتكليف من هو أقدر منه على حملها[1].

وقد كانت استقالة الملك إدريس الثانية والأخيرة هي تلك المؤرخة في 4/ 8/ 1969م، والتي وجهها أثناء رحلة استشفائية إلى تركيا ثم اليونان إلى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ ورئيس وأعضاء مجلس النواب، ورئيس الوزراء ورئيس مجلس الشيوخ عبد الحميد العبار ورئيس مجلس النواب مفتاح عريقيب، عندما جاءا إلى تركيا في ذلك الوقت للاجتماع بالملك بناءً على طلبه، وفي هذه الاستقالة أكد الملك إدريس أنه وقد تقدم به العمر حتى وهن العظم منه، وبلغ من العمر عتيًا ولهذا فهو قد قرر التخلي عن العرش إلى الأمير ولي العهد الحسن الرضا السنوسي مشترطاً موافقة البرلمان على ذلك، ومن ثم عليه حلف اليمين واعتلاء العرش، ومطالباً في هذه الاستقالة الشعب الليبي بتقوى الله ومخافته وحمد الله تعالى وشكره على ما أكرم بلاده من النعم، وأفاض عليها من الخير، وأن عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وذلك خوفاً من أن يرفع الله تعالى عنها نعمه وخيره ويوليها الأشرار من عباده.

وكان نص هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

يا إخواني الأعزاء رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء مجلس النواب، يعني مجلس الأمة الليبية، ورئيس الحكومة الليبية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقدم لكم هذا الخطاب قائلاً: منذ أن قلدتني هذه الأمة الكريمة الليبية ثقتها الغالية بتبوئي هذا المقام الذي شغلته بعد إعلان استقلال بلادنا العزيزة ليبيا.

قمت بما قدر الله لي مما أراه واجباً عليّ نحو بلادي وأهلها وقد لا يخلو عمل كل إنسان من التقصير، وعندما شعرت بالضعف قدمت استقالتي قبل الآن ببضع سنوات فرددتموها فطوعاً لإرادتكم سحبتها، وإني الآن نسبة لتقدم سني وضعف جسدي أراني مضطراً أن أقول ثانية أني عاجز عن حمل هذه الأمانة الثقيلة ولا يخفى أنني بليت في سبيلها خمسة وخمسين سنة قبل الاستقلال وبعده قد أوهنت جلدي مداولة الشؤون وكما قال الشاعر:

(1) انظر: السنوسيون، مخطوطة لم تر النور بعد طلب مني مؤلفها عدم ذكر اسمه.

(سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم)

وقد مارست هذه القضية وعمري 27 سنة، والآن أنا في الثانية والثمانين ولله الحمد أتركها في حالة هي أحسن مما باشرت في بلائي بها، فأسلمها الآن لولي العهد السيد (الحسن رضا المهدي السنوسي الأول) على أن يقوم بعبئها الثقيل أمام الله وأمام أهل هذه البلاد الكريمة على نهج الشريعة الإسلامية والدستور الليبي بالعدل والإنصاف فاعتمدوه مثلي ما دام على طاعة الله ورسوله والاستقامة.

وبعد اعتماده من مجلس الأمة يحلف اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة قبل أن يباشر سلطاته الدستورية، وإني إن شاء الله عقدت العزم الأكيد على اجتناب السياسة بتاتاً، والله على ما أقول وكيل.

والذي أختتم به قولي بأن أوصي الجميع من أبناء وطني بتقوى الله في السر والعلن، وإنكم جميعاً في أرغد عيش وأنعم النعم من الله تبارك وتعالى.

فاحذروا من أن يصدق عليكم قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112] فالله الله مما يغضب الله، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ولا تفرقوا، قال ﷺ: **«لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»**.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

محمد إدريس المهدي السنوسي
في 21 جمادى الأول 1389
الموافق 4 أغسطس 1969م

تاسعاً: نزاهة ملك ليبيا وعفته وأقوال المؤرخين فيه ووفاته:

حينما وقع الانقلاب في سبتمبر 1969م كان الملك في رحلة إلى تركيا واليونان ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ما تبقى في عهدته من مخصصات رفض الملك ذلك بعزة نفس وقال له: «يا بني أنا بالأمس كنت ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب».

(1) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص(165، 166).

تقول الملكة فاطمة في رسالة لها بتاريخ 13 سبتمبر 1969م تصف فيها حالها ومآل زوجها الملك بعد وقوع الانقلاب: «إننا نحمد الله على أن تيجان الملكية لم تبهرنا قط، ولا نشعر بالأسف لفقدها، فنحن كنا دائماً نعيش حياة متواضعة، ولم يغب عن أذهاننا مثل هذا اليوم، كما نحمد الله كثيراً على أننا لا نملك مليماً واحداً في أي مصرف حتى يشغل بالنا المال، ولم نغير أبداً معاملتنا لأصدقائنا وهي لن تتغير مع الأيام»[1].

لقد تحدث الكثيرون عن سيرة ملك ليبيا السابق، ويجدر بنا أن نشير إلى بعض الذين عاصروه واتصلوا به شخصيًا، واطلعوا عن قرب على الكثير من أخلاقه الرفيعة ففي مقال نشر في صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها بتاريخ 23 يونيو 1983م نعى السيد مصطفى بن حليم رئيس ليبيا السابق الملك محمد إدريس السنوسي وتحدث عن جهاد ليبيا تحت قيادته وكان ضمن ما قاله عن شخصيته: «لقد عرفت الملك إدريس ﷺ معرفة حميمة على مدى نصف قرن تقريباً عرفته منذ كان صبيًا وعملت معه وزيراً ثم رئيساً لحكومته ثم مستشاراً له، كما عرفته وأنا مواطن عادي، وكما عرفته وهو لاجيء في مصر وكنت دائم التردد عليه في ملجئه في القاهرة، وفي طول نصف القرن عرفت فيه المجاهد المسلم الزاهد المتواضع لم يعر مباهج الدنيا أي اهتمام، وكان الملك المؤمن الورع والأب العطوف والقائد الحكيم المتواضع، كما كان يحن دائماً للهجرة إلى مكة والمدينة المنورة في الأراضي المقدسة، مرة واحدة رأيته يتلوى ألماً ويبكي دماً ويهدر هديراً، وهو الهادي الصبور، كان ذلك يوم سقوط القدس الشريف في أيدي الصهاينة، كان يخشى الله في السر والعلانية كان كريماً ندي اليد، خجولاً طالماً صرف مخصصاته الرسمية في أوجه الخير سرًا، وفي سنة 1955م عندما أنشئت الجامعة الليبية تبرع بقصر المنار في بنغازي ليكون لها المقر وكذلك فعل سنة 1956م تنازل عن قصر الغدير كمقر للكلية العسكرية، كان دائماً يتردد على الأراضي المقدسة للحج والعمرة[2].

ويقول الدكتور مجيد خدوري عن دوره في إنشاء الدولة الليبية وتحقيق الوحدة الوطنية: إن الدور الذي قام به الملك إدريس في إنشاء الدولة الليبية بالغ الأهمية إذ إنه لم يكتف بأن أقدم على العمل بجرأة لتخليص برقة من إيطاليا في الحرب العالمية الثانية فحسب، بل استعمل نفوذه الشخصي وحنكته السياسية لإقناع أصحاب النفوذ من الزعماء الطرابلسيين بوجوب الالتفاف حول النظام الاتحادي الذي لولاه ما كانت لتتم وحدة ليبيا قط ولما كان حفيداً وخليفة للسيد محمد السنوسي، فضلاً عن ذلك فقد كسب أيضاً ثقة زعماء القبائل البرقاوية وأحاط نفسه بنفر من الرجال المقتدرين الذين تفانوا في تأييده كان بعض هؤلاء الزعماء قد تبعوه إلى المنفى،

(1) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص(153، 154).

(2) انظر: الإنقاذ، العدد (39)، ص(64، 65).

والآخرين الذين ظلوا في البلاد لمقاومة الإيطاليين قاموا بذلك بتوجيهه، فلما عاد إلى برقة بعد الحرب لم يكن ثمة مجال للتساؤل عمن يمكن أن تؤول إليه الرئاسة في برقة، ولم يكن الزعماء الطرابلسيين يجهلون أثر الملك إدريس في توحيد البلاد، إذ أنهم أدركوا أنه الشخص الوحيد الذي يكن له الجميع الاحترام، لكنهم اختلفوا على شكل الحكومة المنوي إنشاؤها، وعلى الحدود الدستورية لاختصاصاته.. قبل عرش ليبيا بدافع من شعوره بالواجب الوطني ليزود البلاد المقسمة بالزعامة اللازمة لها»[1].

وأما المؤرخ دي كاندول صاحب كتاب «الملك إدريس عاهل ليبيا» فقد قال: «على الرغم من محاولات تشويه صورة الملك في أذهان الناس وتهويل بعض نقاط الضعف التي لا ينفرد بها عن بقية البشر، إلا أن الحقبة الطويلة التي قضاها في خدمة بلاده وأمته قد ترسخت في أعماق التاريخ بما يكفي للصمود أمام كل المساعي الخبيثة.

إن الملك إدريس رمز لعهد مضى ولن يعود، ولكنه عهد زاهر يجدر بالليبيين جميعاً والعرب عموماً أن يعتزوا به»[2].

وقال أيضاً: «كانت الدعاية التي رافقت الانقلاب كاذبة مفترية في مزاعمها ضد الملك الذي حاولت أن تصوره مثل فاروق فاسقاً متهتكاً فاسد الذمة وهو أبعد ما يكون عن تلك الصفات، فسمعته الشخصية كانت فوق مستوى الشبهات سواء في بلاده أو في العالم العربي عامة كرجل شديد الورع والتقوى كرّس حياته لحرية شعبه وكان في سلوكه الخاص مثلاً للاعتدال والاستقامة الكاملة، وإن الحملة الدعائية التي تواصلت ضده على ذلك النحو كانت من نوع الإسفاق الرخيص الذي لا يقوم على أساس»[3].

وفاته:

استقر الملك إدريس رحمه الله تعالى في مصر حيث بقي مدة حياته الأخيرة بها، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيها إلى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ 25 مايو 1983م وهو في سن الرابعة والتسعين[4].

وقد دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة، وكان قد طلب من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بموسم الحج سنة 1977م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل

(1) انظر: الإنقاذ، العدد (39)، ص(65).
(2) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، حياته وعصره، ص(45).
(3) انظر: الملك إدريس عاهل ليبيا، ص(141).
(4) المصدر السابق نفسه، ص(151).

الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله، ثم إن الملك فهد بن عبد العزيز أجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد بن عبد العزيز، ونقل جثمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة[1].

فنسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان ونقول ما قاله المولى ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

لقد تركت ما يتعلق بالمملكة الليبية متعمداً في ذلك، إلى وقت آخر إن كان للعمر بقية وأذن الله في مواصلة هذه الرحلة الطويلة التي بدأتها من الفتح الإسلامي إلى هذا الكتاب؛ لأنني أشعر بضعف المادة التي أمامي فيما يتعلق بتلك الأحداث لأن قضايا ذلك العصر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لملابساتها وآثارها الممتدة إلى عصرنا الحاضر وخصوصاً وإنني قد بحثت في أسباب سقوط المملكة بحثاً دقيقاً وطلبت من رجال عاشوا في تلك المرحلة ليساهموا معي في تتبع الأسباب التي أدت إلى سقوط المملكة الليبية، ولكن التفاعل كان ضعيفاً واعتذر البعض لأسباب أمنية، وقد علمت بأن بعض الذين عاصروا تلك الأحداث قد كتبوا مذكرات مهمة عن المرحلة وينتظرون الوقت المناسب لنشرها؛ لذلك رأيت من الحكمة والتعقل التريث حتى يأذن الله في نشرها؛ لأنها سوف تساهم في إيجاد معلومات تساعد الباحثين على تقصي الحقائق للوصول إلى نتائج صحيحة مبنية على معلومات يقينية، ولا يفوتني في هذه الخاتمة أن أشيد بالمجهودات القيمة التي قام بها كل من الوزيرين السابقين: مصطفى ابن حليم ومحمد عثمان الصيد في كتابة مذكراتهم ثم نشرها بغية استفادة الأجيال منها.

إن الجهود التي قام بها الوزيران السابقان تستحق الثناء والتقدير؛ لأنها أصبحت مرجعاً مهمًا لتلك المرحلة وأخذت قيمتها التاريخية والعلمية وتعتبر من المبادرات الرائعة والرائدة لأن أصحابها عاشوا تلك الأحداث وساهموا في صناعتها، كما أنهم حطموا جدار الصمت، وكتبوا تاريخهم السياسي الذي في حقيقته أصبح ملكاً للأجيال الصاعدة بغض النظر عن اختلاف الآراء حول تلك المذكرات.

إن فترة المملكة الليبية من عام 1951م إلى 1969م غنية بالأحداث على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وهي تحتاج إلى دراسة واعية وباحث مدقق يتوخى العدل والإنصاف ويعتمد على الله ثم على الوثائق والحجج والبراهين.

إن الاعتناء بتاريخ بلادنا وبلاد المسلمين تظهر أهميته في هذا العصر الذي استخدم فيه

(1) المصدر السابق نفسه، ص(151).

التاريخ كأداة لتوجيه الشعوب وتربيتها كما يريد القادة والساسة، بل استعان بهذا العلم أصحاب المذاهب الفكرية الهدامة في فلسفة مذاهبهم المادية وتدعيمها حتى أصبح هذا العلم عند الأمم المتقدمة في مكانة سامية لا يعلوها علم آخر.

إن دراسة التاريخ بوجه عام، وتاريخ الأمة المسلمة على وجه الخصوص لا ينبغي في دراسته تحقيق الرغبات، والحاجات الدونية، بل من أجل الوصول إلى القمة العلية ألا وهي إحياء الأمة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومعرفة كيفية التعامل مع سنن النهوض والصعود بالشعوب، واجتناب سنن السقوط والهبوط ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: 21].

هذا وقد انتهيت من كتابة هذه السلسلة التاريخية يوم الثلاثاء 1 ربيع الأول 1420هـ الموافق 15 يونيو 1999م، والفضل لله من قبل ومن بعد وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

وبهذه الأبيات:

إليك وجهت يا مولاي آمالي ... فاسمع دعائي وارحم ضعف أحوالي
أرجوك يا مولاي لا نفسي ولا ولدي ... ولا صديقي ولا أهلي ولا مالي
لما عرفتك لم أنظر إلى أحد ... فلا الرعية أرجوها ولا الوالي
فلا تكلني إلى من ليس يكلؤني ... وكن كفيلي فأنت الكافل الكالي[1]
واسقني كأس حب من ودادك يا ... مولاي فهو شراب سلسل حالي
فلا وحقك ما للقلب من شغف ... إلا بحبك فاشرح لي به بالي
وفيه سلوان قلبي عن علائقه ... وسلسبيلي وسلوائي وسلسالي
ومنه أحيا ومن فقدي له مرض ... ومرهمي أبداً منه وإبلالي[2]
أنا الفقير إلى مولاي يرحمني ... إذ تقضي بهول الموت إمهالي
أنا الفقير إلى مولاي يرحمني ... في بطن لحد وحيش مظلم خالي
هناك لحمي لدود القبر فاكهة ... والعظم مني رميم في الثرى بالي

(1) كلأه: إذا حفظه ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ [الأنبياء: 42].
(2) الإبلال: الشفاء من المرض.

أنا الفقير إلى مولاي يرحمني يوم القيامة من عنف وأهوال
أنا الفقير إلى مولاي يحشرني في زمرة المصطفى المختار والآل
صلى الإله على أرواحهم أبداً ضعفاً على قدر زخار وهطال[1]

(1) الزخار: صفة للبحر، وهطال: صفة للغيث.

الخُلاصة

- ولد محمد إدريس السنوسي يوم الجمعة في العشرين من شهر رجب 1307هـ الموافق 12 مارس 1890م بزاوية الجغبوب.
- كان مولده يوم فرح وسرور لأتباع الحركة السنوسية، وخصوصاً أهالي الجغبوب، فعطل معهد الجغبوب، والكتاتيب القرآنية، ودور الأعمال، ونحرت الجزر، ومدت الموائد، وقدمت الصدقات شكراً لله تعالى.
- نشأ محمد إدريس في رعاية أبويه وبعد وفاة أمه احتضنته جدته لوالدته، واهتم والده بتربيته تربية صالحة، وبدأ تحفيظه للقرآن الكريم بنفسه مع دخوله في سن السابعة من عمره.
- تتلمذ على مجموعة من أفاضل العلماء اشتهر من بينهم العلامة العربي الفاسي، وأحمد أبي سيف، والعربي الغماري، وحسين السنوسي، وأحمد الريفي وأحمد الشريف السنوسي.
- أتقن القراءات، وعلوم الحديث، كما أتقن البخاري، ومسلم، ومسند أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وموطأ مالك، ومسند أبي حنيفة، ومسند الإمام أحمد، وكتاب الأم للشافعي، وغير ذلك من كتب الفقه والحديث والتفسير واللغة، وعلوم التاريخ، وتقويم البلدان، وتحصل على إجازات عدة.
- لما تقدمت به السن أصبح له مجلس عامر بالعلماء والأدباء، وكان يحب العلماء ويجلهم ويكبر ما في نفوسهم من العمل، وينزلهم منه منزلة خاصة، ويحيطهم بعطفه وكانت أحب العلوم إليه: الحديث الشريف، وعلم التاريخ والأدب والسياسة.
- كان لا يتحدث في موضوع إلا ويعلل رأيه فيه بعد تدقيق وتمحيص ثم يأتي بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، تارة من كتاب الله، وطوراً من الحديث الشريف، وحيناً من أقوال السلف الصالح وأئمة المسلمين.
- كان قوي الذاكرة، سريع الخاطر متين الحجة، وله اهتمام خاص بالفقراء والمساكين، وكان جميل المعشر، رحيماً بأتباعه وخدمه، فيعود مريضهم بنفس متواضعة ويفصح عن المذنبين منهم ما لم يكن الذنب مغضباً لله ولرسوله وكان يميل إلى اقتناء جياد الخيل، وله شغف بجمع أنواع الأسلحة وبجمع الكتب.
- كان حريصاً على وحدة الصف السنوسي أمام أعداء الإسلام، فبعد أن بدأ الطليان هجومهم

الغادر على الأراضي الليبية ورأى بعض الإخوان أن يسندوا الزعامة إلى إدريس السنوسي كحق موروث بدلاً من أحمد الشريف رفض إدريس ذلك العرض وبذلك اجتمعت كلمة المجاهدين على أحمد الشريف.

- سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج عام 1330 هـ، 1912م وكانت تلك الرحلة مليئة بالدروس والعبر وأصبح لها أثر عميق في تفكيره حيث احتك بالحكومة المصرية، وبزعيم الثورة العربية الكبرى الشريف حسين وقادة الإنكليز في مصر وتكونت له قناعات مهمة فيما يتعلق بمجريات السياسة الدولية، وبطبيعة الصراع بين الأتراك والإنكليز واتخذ لنفسه منهجاً سار عليه لخدمة شعبه ووطنه وبلاده.
- رأى أنه ليس لمصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الإنكليز، وبعد رجوعه من الحج نصح أحمد الشريف بعدم الدخول في الحرب مع الأتراك ضد الإنكليز وأعلن رأيه ذلك بصراحة.
- بعد انتهاء المعارك بين أحمد الشريف وبريطانيا ظهر محمد إدريس على مسرح العمل السياسي الليبي وكان بروزه مصلحة للبلاد، لما تمتع به من صفات أهلته لزعامة برقة؛ وآلت الأمور إلى أن بايعته القبائل في شرق ليبيا بالإمارة.
- دخل الأمير محمد إدريس السنوسي في مفاوضات مع الإنكليز لكي يتوصل معهم إلى اتفاق مؤقت يهدف به فتح الطرق مع مصر، حتى يتغلب على شبح المجاعة الذي هدد البلاد.
- اشترط الإنكليز للدخول في المفاوضات ضرورة دخول حليفتها في الحرب العالمية الأولى إيطاليا لتلك المفاوضات، واضطر الأمير إدريس للموافقة على ذلك الشرط.
- لم يكن موقف الأمير إدريس قويًا في المفاوضات بسبب هزيمة جيش السيد أحمد الشريف في مصر بينما كان رصيده الوحيد في ولاء قبائل برقة، وحرص الإنكليز على كسبه لصفهم.
- كانت ثورة الأتراك ضد السنوسية من العوامل التي ساعدت في دفع محمد إدريس نحو التقارب مع السياسة البريطانية، وقد بدأت تلك الثورة في أواخر عام 1916م وانتشرت في جهات عديدة حتى توجت بالنصر على السنوسية في فزان خلال شهر سبتمبر عام1917م وطردوا منها محمد عابد السنوسي الذي التجأ إلى الكفرة وترك واحة واو، وأصبحت فزان منذ ذلك الحين بيد الأتراك.
- استمر الأتراك في مضايقة محمد إدريس، وتضييق الحصار عليه وعملوا على الإحاطة به وأرسل نوري باشا بعثته الأولى الصغيرة إلى الكفرة لضرب النفوذ السنوسي هناك إلا أن تلك البعثة فشلت وانتهت بوقوع أعضائها في أيدي صفي الدين السنوسي الذي استطاع أن يكشف أمرهم بسرعة، وأودعهم السجن.

- كان الأمير محمد إدريس على قناعة راسخة أن النصر في الحرب العالمية الأولى سيكون للحلفاء ولذلك حرص على التقارب من بريطانيا، صاحبة التفوق في منطقة الشرق، ومن أجل تقليل الخسائر والمحافظة على كيان السنوسية الذي تعمل تركيا على تحطيمه في البلاد في تلك المرحلة، واتخذ قراراً بالانسحاب من الحرب ضد إيطاليا وبريطانيا ووافقه زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية على ذلك.
- كان أبناء البيت الإدريسي في مصر هم حلقة الاتصال بين الأمير إدريس والحكومة البريطانية وتم الاتفاق على سفر وفد بريطاني وإيطالي إلى إجدابية لعقد صلح بين الأطراف الثلاثة.
- وصل في أواخر عام 1916م إلى زويتينة وفد من الإنكليز والإيطاليين ومعهم من المصريين أحمد محمد حسنين أفندي، ومحمد الشريف الإدريسي وابنه محمد المرغني، وكانوا جميعاً ضمن الوفد الإنكليزي إضافة إلى الكولونيل تالبوت الذي له دراية كبيرة بشؤون الشمال الأفريقي، والضابط اللفتنت هسلم، وكان الوفد الإيطالي يتكون من الكولونيل بيلا، والكوماندانتور بياجنتيني، ومترجمهم.
- بدأت المفاوضات بين الأطراف الثلاثة خلال شهري أغسطس، وسبتمبر سنة 1916م، وكان الوفاق والتفاهم ظاهراً بين الجانبين الإنكليزي والسنوسي أما العلاقات الإيطالية فقد كانت مغايرة لذلك تماماً.
- كانت مهمة الوفد الإنكليزي يسيرة، فلم تكن هناك أية صعوبة في الوصول إلى اتفاق مع السنوسيين، ولكن الصعوبة تكمن في إصرار الكولونيل تالبوت رئيس الوفد على عدم التوقيع على أي اتفاق مع السنوسيين قبل أن ينتهي إدريس مع الاتفاق مع الإيطاليين ويتم التوقيع من الطرفين على هذا الاتفاق.
- في أوائل عام 1917م تمت اتصالات جديدة بين الإنكليز، والإيطاليين والسنوسيين وقد لعب محمد الشريف الإدريسي وابنه المرغني دوراً هامًّا في إنجاح هذه الاتصالات وموافقة جميع الأطراف على تجديد المفاوضات.
- طالت مدة المفاوضات، فاستغرقت الفترة ما بين شهر يناير إلى منتصف أبريل تقريباً، والجلسات معقودة، والحوار مستمر وكان لضغوط الإنكليز أثر على الطرفين الإيطالي والسنوسي حتى تم التوصل إلى اتفاق ارتضاه الجميع.
- كانت معاهدة عكرمة في طبرق خير وسيلة لتحقيق السلم وصون مصالح العرب المجاهدين في برقة، كما أنه أتيحت فرصة لمحمد إدريس لتنظيم القبائل تنظيماً من شأنه أن يجمع الكلمة ويقضي على بذور الفتنة والاضطراب، كما ساعد ذلك الاتفاق على تأييد نفوذ محمد إدريس حتى بدأ الأهالي من ذلك الحين يلقبون محمد إدريس بالمنقذ.

- تركزت جهود الأمير إدريس بعد تلك المعاهدة على أمرين: إقامة الحكومة الوطنية الرشيدة التي تحفظ مصالح البلاد، وتتولى زعامة القبائل في برقة، وتطالب بكل حقوقهم، ومقاومة نفوذ الطليان ومنع اتصالهم بالعرب بكل الوسائل في داخل البلاد.
- اتخذ محمد إدريس إجدابية مركزاً لقيادته وذلك لعدة أسباب نجملها فيما يلي: لما تميزت به من موقع استراتيجي هام، وقوعها في منتصف قاعدة مثلث رأسه في الكفرة وقاعدته النوفلية والجبل الأخضر، كما أنها تمثل الامتداد الطبيعي لواحات جالوا وأوجلة جخرة، والكفرة، وهذا يعطيها بعداً استراتيجيًا هامًا، ومن أهم المناطق في تجارة القوافل، كانت موطناً لمعظم القبائل التي كانت تؤيد الحركة السنوسية ولغير ذلك من الأسباب.
- قام محمد إدريس بوضع نواة لجيش نظامي واجتهد في تسوية الخلافات بين بعض القبائل، وتمكن من القضاء على عناصر السلب والنهب والقتل.
- قام محمد إدريس بتشكيل مجلسين أحدهما يضم كبار العلماء والإخوان ويقال عنه المجلس الخاص وله السلطات التشريعية والتنفيذية، وأما المجلس الثاني فكان أعضاؤه من شيوخ وأعيان القبائل ويقال له مجلس الأعيان.
- كان الأمير محمد إدريس يدير دفة العلاقات مع إيطاليا بمنتهى الحذر واللياقة، والكياسة، والدبلوماسية، والسياسية، وحرص على توثيق علاقته مع الوالي الإيطالي الكونت جاكومودي مارتينو، وعين عمر باشا منصور الكيخيا ممثلاً له في بنغازي، وكان لعمر باشا خبرة سياسية نادرة، حيث كان نائباً في مجلس المبعوثان العثماني في إستانبول.
- كان الإيطاليون يرغبون في نقض الاتفاقات السابقة؛ لأنهم كانوا يطالبون بالسيادة التامة على ليبيا، وأنهم قبلوا بالأمر الواقع مؤقتاً، لذلك حاولوا أن يتقربوا من السكان، أملاً في أن ينتهي الأمر بهم إلى القبول بالسيادة الإيطالية.
- بعد انهزام تركيا في الحرب العالمية الأولى اضطر الأتراك للاستسلام وعقدوا مع الحلفاء معاهدة جزيرة موندروس في 31 أكتوبر عام 1918م تعهدت فيها تركيا بسحب قواتها من طرابلس الغرب وأن تقطع علاقتها بها.
- كان سقوط تركيا سبباً رئيسيًا في ظهور فكرة الجمهورية الطرابلسية وطرحت على بساط البحث، واشترك فيها رمضان بك، وعزام بك، والباروني باشا، والأمير عثمان، ومختار بك كعبار.
- في يوم السبت الثالث عشر من صفر سنة 1337هـ الموافق 16 نوفمبر سنة 1918م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته وهو أكبر جامع فيها.
- تشكل مجلس إدارة الجمهورية من سليمان الباروني، وأحمد بك المريض، ورمضان

السويحلي، وعبد النبي بالخير، وشكل مجلس شورى الجمهورية، والمجلس الشرعي لها.

- قامت الحكومة بإرسال عدة بلاغات إلى كل من رئيس الحكومة الإيطالية، ورئيس أمريكا ولسن، ورئيس الوزراء الإنكليزي، ورئيس الجمهورية الفرنسية إلا أن تلك الدول لم تعترف بها.
- في 30 سبتمبر سنة 1919م أعلن الطرابلسيون رسميًا عن تأسيس حزب الإصلاح لأجل الدفاع عن مكاسب البلاد، وإيقاظ الوعي الجماهيري السياسي، وأسندوا رياسته إلى أحمد بك المريض، ورياسة شرفه إلى رمضان بك.
- انتهز الإيطاليون فرصة المهادنة ليلقوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة وبين البدو والحضر من جهة أخرى، وبين سكان البلدان المتجاورة.
- كانت من أكبر الفتن الحرب الطاحنة بين الزنتان والبربر فقدت بها طرابلس من أبنائها ما لا يعلم عدده إلا الله.
- استغل الإيطاليون ذلك الصراع وتلك الفتن، وتحركت جيوشهم للقضاء على الطرابلسيين، فاحتلوا فزان في 31 أكتوبر عام 1922م، وفي 17 نوفمبر 1922م، احتلوا غريان وبدأت المدن تتساقط أمام الجيوش الإيطالية.
- بعد التطورات الخطيرة، والانشقاقات العظيمة التي وقعت بين الزعماء رأى عقلاء طرابلس ضرورة الاجتماع في مؤتمر غريان ليتدارسوا الأوضاع الراهنة، ويتخذوا حيالها موقفاً مشتركاً.
- كانت الفتنة بين طرابس وبرقة قد اشتدت مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وحصل فتور بين البرقاويين والطرابلسيين، استمر لمدة خمس سنوات.
- كان عقلاء طرابلس وبرقة لا يرضيهم تلك الحالة المزرية التي لا يرضى عنها عقل ولا شرع ولا عرف فبادر السيد أحمد المريض بإرسال رسالة لأخيه الأمير محمد إدريس السنوسي، وكانت مليئة بالمعاني الرفيعة والعبارات السامية، ورد على تلك الرسالة الأمير محمد إدريس وترتب على ذلك اجتماع سرت العظيم بين الوفد الطرابلسي والبرقاوي.
- كانت الحكومة الإيطالية تتابع الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس، وخافوا أن يترتب على اتفاق طرابلس وبرقة ما لا تحمد عقباه، فقرر وولبي احتلال مصراته قبل أن يصل الليبيون إلى نتيجة في مؤتمر سرت.
- بعد فشل المفاوضات بين إيطاليا والطرابلسيين في فندق الشريف في 10 أبريل سنة 1922م رأى الطرابلسيون ضرورة إرسال وفد إلى الأمير محمد إدريس ليبايعوه بالإمارة تنفيذاً لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في فندق الشريف.

- بادر الأمير محمد إدريس بمصافحة تلك اليد الممدودة وقبل البيعة دون تردد وأجاب على كتاب البيعة في 22 ربيع الأول 1341هـ الموافق 22 نوفمبر 1922م.
- تغيرت العلاقات الإيطالية السنوسية وحدثت بعض الاشتباكات بين الطليان والعربان بسبب حرص الطليان على نزع السلاح منهم، ومرض الأمير إدريس مرضاً شديداً ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج.
- قام الأمير إدريس قبل هجرته بتنظيم أمور الجهاد، وبحث الأمر مع زعماء ورؤساء برقة من جانب، ومع بشير السعداوي والوفود الطرابلسية من جانب آخر.
- عهد الأمير بالأعمال السياسية والعسكرية في برقة إلى عمر المختار نائباً عنه في تنظيم معسكرات المجاهدين وعهد بالمسائل الدينية وما يتعلق بالأسرة السنوسية إلى أخيه محمد رضا.
- استطاع الإيطاليون بقواتهم الجرارة، وطائراتهم القضاء على حركة المقاومة رويداً رويداً، ثم هاجموا في آخر الأمر ورفلة وعندئذٍ انحلت المقاومة تماماً، واضطر بشير السعداوي إلى مغادرة سرت في عام 1924م بعد أن مكث بها سنة تقريباً.
- كان السعداوي رحمه الله من أشد المجاهدين تحمساً في هذه الفترة العصيبة، ومن أعظمهم مثابرة على الجهاد، وكان يتحلى برجاحة العقل، والرزانة والهدوء، ويتصف بالقدرة على النظر البعيد وتقليب وجوه الرأي في عواقب الأمور.
- أصبحت برقة وحدها تحمل على عاتقها عبء الجهاد منفردة ضد العدو، وكان والي برقة الجديد بونجيو فاني قد بدأ يحل الأدوار المختلفة في برقة عنوة واقتداراً.
- بدأ الجهاد بقيادة عمر المختار في برقة ضد إيطاليا من غير هوادة أو لين، أو ضعف، أو خوار.
- ولد الشيخ عمر المختار من أبوين صالحين عام 1862م، وقيل 1858م وكان والده مختار بن عمر من قبيلة المنفة من بيت فرحات، وكان مولده بالبطنان في الجبل الأخضر.
- بعد وفاة والده تولى تربيته الشيخ حسين الغرياني هو وشقيقه محمد، فأدخلهما مدرسة القرآن الكريم بالزاوية، ثم ألحق عمر المختار بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان والقبائل الأخرى.
- مكث في معهد الجغبوب ثمانية أعوام ينهل من العلوم الشرعية المتنوعة كالفقه، والحديث والتفسير، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم: السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح الظاهري المدني وغيرهم كثير.
- كان عمر المختار شديد الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها وكان يقرأ القرآن يوميًا،

فيختم المصحف الشريف كل سبعة أيام منذ أن قال له الإمام محمد المهدي السنوسي: يا عمر وردك القرآن.

- إن من أسباب الثبات الذي تميز به عمر المختار حتى اللحظات الأخيرة من حياته إدمانه على تلاوة القرآن الكريم والتعبد به، وتنفيذ أحكامه، لأن القرآن الكريم مصدر تثبيت وهداية وذلك لما فيه من قصص الأنبياء مع أقوامهم، ولما فيه من ذكر مآل الصالحين، ومصير الكافرين والجاحدين وأوليائه بأساليب متعددة.
- ظهرت صفة الشجاعة في شخصية عمر المختار المتميزة في جهاده في تشاد ضد فرنسا، وفي ليبيا ضد ليبيا، وقد حفظ لنا التاريخ رسالة منه إلى الشيخ الشارف الغرياني بين له فيها أنه لا يخاف طائرات العدو ولا مدافعه ولا دباباته ولا جنوده من الطليان، ولا يخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض، كما ظهرت فيه صفة الكرم وكان يردد على ضيوفه مقولته المشهورة «إننا لا نبخل بالموجود ولا نأسف لمفقود».
- تفوق عمر المختار على أقرانه بصفات عدة منها: متانة الخلق ورجاحة العقل وحب الدعوة، ووصل أمره إلى الزعيم الثاني للحركة السنوسية محمد المهدي السنوسي فقدمه على غيره واصطحبه معه في رحلته الشهيرة من الجغبوب إلى الكفرة عام 1985م.
- وفي عام 1897م أصدر محمد المهدي قراراً بتعيين عمر المختار شيخاً لزاوية القصور بالجبل الأخضر قرب المرج، وقام عمر المختار بأعباء المهمة خير قيام، فعلّم الناس أمور دينهم، وساهم في حل النزاعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم وسعى في مصالحهم، وسار في الناس سيرة حميدة، فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأنٍ وصبر ورفق وعلم وزهد.
- عندما اندلعت الحرب الليبية الإيطالية عام 1911م كان عمر المختار وقتها بواحة جالو فخفّ مسرعاً إلى زاوية القصور وأمر بتجنيد كل من كان صالحاً للجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية القصور.
- أعجب الضابط الأتراك بالمختار وبشجاعته وبالآراء السديدة التي تصدر عنه فكأنما هي تصدر من قائد ممتاز تخرج عن كلية عسكرية وكان قدومه إلى معسكرات المجاهدين مشجعاً وباعثاً للروح المعنوية في قوة خارقة.
- في شهر مارس عام 1923م سافر إلى مصر لمقابلة الأمير محمد إدريس، وكان عمر المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها، وشيوخها.
- حاولت إيطاليا بواسطة عملائها بمصر الاتصال بالسيد عمر المختار وعرضت عليه عروضاً مغرية لترك الجهاد، واستمرت عروضهم حتى بعد رجوعه للبلاد وحاولوا استمالته بالمال

الطائل، والمناصب الرفيعة، والجاه العريض في ظل حياة رغيدة ناعمة ولكنهم لم يفلحوا.

- من أشهر المعارك التي خاضها المختار في تلك المرحلة معركة بئر الغبي، ومعركة أم الشفاتير عقيرة الدم.
- كانت المعسكرات التي يقودها عمر المختار على أساس قبلي ويعتبر الدور وحدة عسكرية، وإدارية، واجتماعية يرأسها قائمقام.
- كان مجيء بادوليو إلى ليبيا بداية مرحلة جهادية حاسمة بالنسبة للمجاهدين وكان تاريخ تعيينه في شهر يناير من عام 1929م، وكان برنامجه يتلخص في تخفيض الجيش إلى القدر الذي يكفي للقيام بحرب العصابات، والمحافظة على هيبة الحكومة مع إنفاق الأموال المتوفرة في مد الطرق في الجبل الأخضر مما يسهل عليه التنقلات العسكرية، فإذا ما تم له ذلك قام بهجوم شامل كاسح على المجاهدين يقضي على المقاومة نهائيًا، ومن أجل ذلك سعت إيطاليا إلى مفاوضة السيد عمر المختار لتهدئة الأحوال.
- دخل عمر المختار في المفاوضات مع قناعته بأنها لا تجدي نتيجة لضغوط بعض قادة الجهاد، ولإقامة الحجة على الحكومة الإيطالية، وقد ظهر في تلك المفاوضات حرص المختار على رفض الخضوع لأي إدارة أو سلطة غير سلطة الله، وكان مصرًا في شروطه على تطبيق الشريعة الإسلامية بين المسلمين ورفض كل ما عداه من قوانين وضعية في مفاوضاته.
- أظهر بادوليو قبول الشروط ولكنه نكث بوعوده وأخذ يستعد للقضاء على المجاهدين، وشرع الطليان يبذرون بذور الشقاق في صفوف المجاهدين على أمل أن يضعفوا من قوتهم، وفي اجتماع سيدي رويفع ادعى سيشلياني أن لا يمكن إبرام الاتفاق النهائي إلا في بنغازي.
- أراد المجاهدون أن يقطعوا حجة الطليان فاتفقوا على أن يحضر اجتماع بنغازي السيد الحسن رضا السنوسي، وكان عمر المختار مقتنعاً بعدم جدوى الاجتماع ولكنه اضطر مكرهاً، وعاد الحسن يحمل شروطاً إيطالية مجحفة فرفضها عمر المختار والمجاهدون.
- كان عمر المختار بجانب إيمانه الراسخ واسع الأفق عالماً بواقعه مدركاً لما يجري حوله متابعاً له، وقد كان ذلك أكبر عون له بعد الله على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام على أعدائه قبل أصدقائه.
- خاطب السيد عمر المختار المجاهدين وأبناء شعبه قائلاً: فليعلم إذاً كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما بث الفتن والدسائس بيننا، لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة.

- نقضت الحكومة عهودها وغدرت بالمجاهدين وكان السيد حسن الرضا أول من ذاق مرارة غدرهم.
- عين الجنرال غراسياني حاكماً لبرقة ونائباً للمرشال بادوليو الحاكم العام، وكان غراسياني معظماً ومقدماً عند قومه وقام بأعمال عسكرية في فزان شنيعة للغاية واستطاع أن يقضي على حركة الجهاد في فزان في 25 فبراير 1930م وكان حقوداً على الإسلام والمسلمين ولم يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة.
- سافر إلى روما ورجع بتعليمات من موسوليني وحكومته هدفها القضاء المبرم على حركة الجهاد، مهما كلف ذلك، وبكل الطرق والوسائل للقضاء على القضية البرقاوية.
- لم يمضِ على وصول غراسياني سوى أيام قلائل حتى أنشأ ما عرف في تاريخ الاستعمار الإيطالي الأسود باسم المحكمة الطائرة أبريل 1930م، ثم شرع في سياسة عزل الأهالي الخاضعين عن المجاهدين وجمع الإخوان السنوسيين وشيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القرآن بها مع ذويهم جميعاً، ومشايخ وأعيان القبائل، وبكل من يربطه أي نوع من أنواع الصلات بأحد المجاهدين أو المهاجرين، جيء بهذه المجموعات يساقون إلى مراكز التعذيب ثم السجون ولم يشفع في أحدهم سن الشيخوخة الطاعنة، أو الطفولة البريئة أو المرض المقعد، أو الضرر الملازم.
- وأنشئت معتقلات جديدة في بنينة والرجمة، والمقرون وسلوق والبريقة والعقيلة وسيقت القبائل إلى تلك المعتقلات الشنيعة.
- غيّر عمر المختار خطته وطور أساليبه القتالية لما يتماشى مع المرحلة واعتمد على عنصر المباغتة وركن إلى مفاجأة القوات الإيطالية في أماكن متفرقة ونقل دائرة عملياته إلى الناحية الشرقية في الدفنا نظراً لقربها من الحدود المصرية.
- عزم غراسياني على مد الأسلاك الشائكة في الحدود الليبية المصرية المصطنعة من قبل الاستعمار ما يزيد عن 300 كم من البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب وقد كلف الدولة الإيطالية عشرين مليوناً فرنكاً إيطاليا.
- مع شدة قبضة الاستعمار الإيطالي على المدن إلا أن ذلك لم يمنع الأهالي من القيام بواجبهم المقدس، واستطاعت المخابرات الإيطالية أن تقبض على عدد من الليبيين الذين زودوا حركة الجهاد بالمؤن والمعلومات وتم إعدامهم.
- بعد أن استطاعت القوات الإيطالية أن تعتقل قبائل برقة في معسكرات واسة، وأخذ غراسياني في مد الأسلاك الشائكة على طول الطريق على البحر المتوسط إلى ما بعد الجغبوب ليفصل برقة عن مصر، وكان قد شرع في جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الإيطالي والجيوش الملونة، من المرتزقة ومن المعدات الحربية لاحتلال

الكفرة وقد كتب غراسياني عن اهتمامه باحتلال الكفرة، وعن الاستعدادات التي اتخذتها الحكومة الإيطالية أكثر من خمسة وأربعين صفحة.

- قام الأمير شكيب أرسلان بدور مشكور في كتابة المقالات عن ما حدث في برقة وطرابلس وقد اتصل به عمر المختار وأرسل إليه رسالة شكر عن دوره العظيم.
- قامت إيطاليا بتصعيد حملات الانتقام من الليبيين والمجاهدين خصوصاً، فقامت بسياسية التهجير، وسياسة القتل والرمي في البحر، وبهتك الأعراض وخصوصاً في الكفرة، وقتلهم لأهل العلم، وكبار الشيوخ ورمي الأبرياء من الطائرات، وانتزعت الأراضي من الأهالي، ورحلت الأطفال إلى إيطاليا، ونشطت حركة التنصير بين الأهالي.
- كان غراسياني يملك القوات الضخمة في البر والبحر والجو، والسلطة الغاشمة المستبدة في برقة، والخزائن المرصوفة بالأموال والسجون والمعتقلات والمشانق، ومع هذا يضعف ويسيطر عليه العجز أمام المجاهدين وقائدهم العظيم حتى دفعه تفكيره إلى حرق الغابات بعد أن تمكن من حرق الأكباد والأفئدة والأجسام، لقد وقع تحت تأثير عصبي حاد من جراء ما أصابه من الفشل الذريع وكان في طريقه إلى الاستقالة أو الإقالة لولا تقدير الله بوقوع عمر المختار في الأسر.
- ظل عمر المختار في الجبل الأخضر يقاوم الطليان على الرغم من هذه الصعوبات الجسيمة التي كانت تحيط به وبرجاله وفي صباح 11 سبتمبر 1931م وقع من على جواده في إحدى المعارك فأصيب في إحدى يديه بجروح ثم وقع في الأسر ثم أرسل إلى سجن بنغازي.
- وفي الساعة الخامسة مساءً في 15 سبتمبر 1931م جرت محاكمة الشيخ عمر المختار وكانت محكمة صورية شكلاً وموضوعاً، وقد استغرقت المحاكمة من بدئها إلى نهايتها ساعة واحدة وخمسة عشر دقيقة فحسب وحكم عليه بالإعدام.
- في يوم 16 سبتمبر من صباح يوم الأربعاء من سنة 1931م عند الساعة التاسعة صباحاً نفذ الطليان في (سلوق) جنوب مدينة بنغازي حكم الإعدام شنقاً في شيخ الجهاد، وأسد الجبل الأخضر بعد جهاد طويل ومرير.
- قام المسلمون بتأبين الشيخ عمر المختار وقيلت القصائد في رثائه ومن أشهر ما قيل قصيدة أحمد شوقي، وقصيدة نعمان عبد الوهاب، والأستاذ أبو الخير الطرابلسي، والأستاذ حسن الغناي.
- بعد سقوط عمر المختار رحمه الله في الأسر تجمع المجاهدون بين يوم وليلة وأجمعوا على تنصيب الشيخ المجاهد يوسف بورحيل قائداً للجهاد الإسلامي، ووكيلاً عامًا للجهاد.
- حشدت إيطاليا قواتها وواصلت شن حملاتها بشراسة منقطعة النظير ضد المجاهدين فقتل حمد بو خير الله أحد الزعماء، وقتل يوسف بورحيل، وجرح عصمان الشامي فأخذ

أسيراً، وأما عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردة القوات الإيطالية له.

- وبهذه النهاية المؤلمة الحزينة انكسرت شوكة المجاهدين، وتعثرت خطواتهم وأخمدت حركة الجهاد وذهب الأجداد تاركين خلفهم تاريخاً بطوليًا كفاحيًا رائعاً من أجل العقيدة، والدين والشرف والكرامة.
- سعى الفاشيست إلى إعادة الإمبراطورية الرومانية الغابرة فقرروا لذلك امتلاك البلدان الإسلامية القائمة على شواطىء البحر الأبيض المتوسط ثم إبادة أهل هذه البلاد وإفنائهم وتحويلهم إلى رقعة لاتينية.
- هاجر الليبيون إلى تونس والجزائر، وتشاد، وسوريا، والأردن، ولبنان، ومصر، والحجاز، وتركيا، وتركوا أوطانهم بسبب الظلم والجور الذي وقع من الطليان وشرعوا في جمع شتاتهم في المهجر استعداداً ليوم قريب تتاح لهم فرصة تخليص بلادهم من الاحتلال الطلياني البغيض، وكانت قلوبهم تتقطع شوقاً للرجوع إلى ديارهم وتفجرت ملكاتهم الشعرية وتركوا لنا بعض القصائد المعبرة عن الشوق للأوطان.
- ذاق المهاجرون ألوان العذاب في المهجر ومع ذلك فقد واصلوا الجهاد وهم في ديار الهجرة حتى ضاقت بهم إيطاليا ذرعاً، وبرز من المجاهدين في مصر السيد إدريس السنوسي وفي بلاد الشام بشير السعداوي الذي أسس الجمعية الطرابلسية البرقاوية.
- مع اقتراب الحرب العالمية الثانية أصبح البريطانيون يسعون لإيجاد تحالف قوي مع المعارضة الليبية ومدوا خيوطهم لكافة المعارضين وخصوصاً أقواهم الأمير إدريس السنوسي.
- إن الحرب العالمية الثانية آية من آيات الله في تصريف أمر الدول والشعوب والأمم وفق سننه وقوانينه في المجتمعات البشرية ومن السنن الواضحة في حياة الأمم أنه عندما تتجبر أمة من الأمم وتعلو في الأرض ويصيبها البطر والكبرياء يهيئ الله لها أسباب الانهيار والزوال.
- كان الأمير إدريس في مصر يتحين تلك الفرصة بمجرد أن تحقق بأن الحرب العالمية لا محالة واقعة شرع بجمع زعماء الليبيين والتشاور معهم ودراسة احتمالات الموقف، ووضع الخطط المناسبة التي يجب أن يسيروا عليها.
- عقد الزعماء الليبيون اجتماعاً تاريخيًا في منزل الأمير إدريس السنوسي بالإسكندرية في 6 رمضان 1358هـ/ 20 أكتوبر 1939م اجتمع فيه حوالي أربعون شيخاً من رؤساء الليبيين وزعمائهم الموجودين في مصر وأسفر تبادل الرأي عن اتخاذ قرار بتفويض الأمير في أن يقوم بمفاوضة الحكومة المصرية أو الإنكليز بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك

مع الحلفاء عندما تدخل إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا ووقعوا على وثيقة تاريخية مهمة في يوم 9 رمضان 1358هـ/ 23 أكتوبر 1939م.

- بادرت جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بعقد اجتماع في دمشق في يوم 29 شوال 1358هـ واطلعت على صورة القرار الموقع عليه من زعماء ورؤساء المجاهدين في مصر ووافقت عليه.

- شرع إدريس السنوسي في مفاوضة الإنكليز، فأسفرت مباحثاته عن السماح له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها، واستخلاص بلادها من العدو الإيطالي.

- دعا الأمير إدريس مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين في مصر واجتمع بهم في يوم الخميس 8 أغسطس سنة 1940م من أجل دراسة الأحداث والتطورات الأخيرة.

- اتخذت الجمعية الوطنية الليبية عدة قرارات من أهمها: وضع الثقة في بريطانيا العظمى، وإعلان الإمارة السنوسية، تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة، خوض غمار الحرب ضد إيطاليا، تعيين حكومة سنوسية مؤقتة.

- قدم الليبيون كل ما عندهم لدعم الحلفاء ضد المحور وكانت كتائب المجاهدين قد قامت بدور بارز في حرب الصحراء، وكذلك الأهالي المدنيون فقد قدموا للجيش البريطاني مساعدات جريئة.

- كان غرب مصر وبرقة مسرحاً لأطول حملة في الحرب العالمية الثانية وضربت المدن والموانىء والقرى والمطارات والطرق، والتركيبات التي أقامها الطليان.

- في يناير 1943م كان جيشان من جيوش الحلفاء يلتقيان حول طرابلس: جيش مونتجمري الثامن، وجيش فرنسي بقيادة ليكلرك الجنرال الفرنسي وقام حاكم طرابلس الإيطالي بتسليم المدينة للحلفاء.

- في أعقاب الاحتلال البريطاني الثالث لمنطقة برقة أعلن الجنرال مونتجمري بأن المنطقة ستدار من قبل حكومة عسكرية بريطانية حتى نهاية الحرب العالمية وليس حتى نهاية الحرب في شمال إفريقيا.

- عارض الليبيون موقف الدول الكبرى من قضيتهم، ووجهوا نقدهم وسهامهم إلى الدول الكبرى وخصوصاً الحكومة البريطانية التي لم تلتزم بعهودها مع الليبيين.

- في عام 1947م أصبح البريطانيون يرون الحاجة إلى منح برقة نوعاً من الحكومة الذاتية تحت زعامة إدريس وأوصت لجنة بريطانية ببرنامج استقلال على ثلاث مراحل، وتحت الإشراف البريطاني، أما طرابلس فكان الوضع يختلف وظهر الخوف هناك من عودة

الحكم الإيطالي للمنطقة، وخاصة في وجود الجالية الإيطالية الكبيرة بمطامعها وتطلعاتها.

- اقتصرت غالبية الأحزاب والجماعات في منطقتي برقة وطرابلس على حاجتهم لدولة متحدة وأصبح نادي عمر المختار يشدد انتقاده ضد بريطانيا وضد سياسة إدريس المتحالف معهم.
- قام الأمير إدريس بإيقاف نشاط نادي عمر المختار ومنع جميع الأحزاب السياسية عن العمل في ديسمبر 1947م وألف المؤتمر الوطني بحجة التحدث باسم أهالي برقة جميعاً.
- أرسلت الدول الكبرى لجنة لتقصي وضع ليبيا فوجدوا رغبة عارمة في الاستقلال التام وأوضح تقرير اللجنة الرغبة الليبية الجماعية للاستقلال التام.
- أصبح استقلال ليبيا شيئاً لا بد منه بالنسبة للأمم المتحدة وأعيدت قضية ليبيا إلى اللجنة السياسية في صيف 1949م وسمح لإيطاليا بالاشتراك بالنقاش وكذلك الممثلين من المؤتمر الوطني البرقاوي، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي، وممثلين من الجالية اليهودية بطرابلس، وفي أكتوبر بدأت لجنة فرعية في وضع قرار يتضمن جميع النقاط الرئيسة الواردة في مقترحات وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة.
- في 21 نوفمبر 1949م تبنت الجمعية العامة القرار الذي اقترحته وفود الهند والعراق وباكستان والولايات المتحدة وتبنته الجمعية بأغلبية 48 صوتاً ضد صوت واحد هو الحبشة وغياب تسعة منها فرنسا وخمس دول شيوعية.
- أعلن استقلال ليبيا في 24 ديسمبر عام 1951م وأصبح الدستور معدًّا للتنفيذ وتولت الحكومة المؤقتة البلاد وأصبح لها صلاحيات كاملة، كان أول رئيس للحكومة المؤقتة محمود المنتصر، وفتحي الكخيا نائباً له ووزيراً للعدل والمعارف وأصبح عمر شنيب مديراً للديوان الملكي، وعين الملك إدريس حكام الولايات الثلاثة، وتقدم بطلب انضمام ليبيا للأمم المتحدة واليونسكو وغيرها من المنظمات الدولية.
- كان الملك ﷺ يرى أن الحياة السعيدة لا تقوم إلا على الدين والعلم والأخلاق ولذلك اهتم بهذه الركائز اهتماماً عظيماً ولذلك أحبه شعبه.
- كان الملك كثير الاتصال بجميع ملوك ورؤساء العرب والمسلمين مسترشداً مستعيناً أو ناصحاً أميناً، وقد بذل جهوداً كبيرة ومساعي جليلة بين الحكام لإصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر، والدعوة للاتحاد.
- بذل الملك ﷺ ما في وسعه في القضايا التي تتنامى إلى سمعه، فيغضب لله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكانت هناك أمور قد خرجت عن إرادته وقدرته بحكم الوجود البريطاني والأمريكي.

- تميزت خطاباته برصانة الأسلوب، ومتانة التعبير، وقوة الحجة، وحرص الراعي على الرعية، ونصحه لشعبه وكانت خطاباته عامرة بالدعوة إلى الخير والتقوى ومكارم الأخلاق.

- كان السنوسيون منذ زمن المؤسس الأول للحركة الإمام محمد بن علي السنوسي مهتمين بأمر الجهاد في الجزائر، وواصل الملك إدريس جهوده المادية والمعنوية لدعم ثورة الجزائر التي اندلعت في 1/ 11/ 1954م وقد أثبتت الوثائق التاريخية جهوده العظيمة، وأعماله الجسيمة في هذا الباب.

- ترك الملك رحمه الله تعالى كتاباً يبحث في قضايا الأمم والشعوب والدول، تناول فيه الموقف الإسلامي العربي والدولي من جميع الوجوه على حقيقته، وتحدث فيه عن الأسباب التي أخرت المسلمين والعرب، والوسائل التي يجب اتخاذها لتمكين العرب من تحقيق وحدتهم التي يراها ضرورية، وتحدث عن الخلافة الإسلامية وما لها وما عليها، وعن سبب انهيارها، وتكلم عن الاستعمار وأهدافه ويعتبر هذا الكتاب مهمًا لمعرفة عقلية الملك رحمه الله في التفكير.

- إن دراسة كتاب الملك المذكور، وتصريحاته الصحفية تبين للباحث ضعف القول القائل بأن الملك إدريس لا يفهم في أمور السياسة وأقرب إلى أهل التصوف من كونه رجل دولة، ولا توجد له رؤية سياسية واضحة ولا يعرف كيف تساس أمور الأمم والشعوب.

- كان الملك يؤمن بأهمية النقد الإيجابي في نهضة الشعوب وبناء الأمم ولذلك سمح للمصلحين أن يتكلموا وينقدوا الدولة والحكم وشجع الصحافة والنواب على قول كلمة الحق.

- مع مرور الزمن وتقدم السن رأى الملك إدريس أن يتخلى عن الحكم وأن يقدم استقالته، ويترك إلى الشعب أو ممثليه إسناد الأمر إلى من هو أحق منه، أو أقدر على حمل الأمانة والقيام بالواجب المطلوب، فقدم استقالته عام 1965م في عهد حكومة محمود المنتصر الثانية، ولكن الضغوط الشعبية اضطرته للرجوع عن هذه الاستقالة.

- كانت استقالته الثانية هي المؤرخة في 4/ 8/ 1969م والتي وجهها إلى كل من رئيس وأعضاء مجلس الشيوخ، ورئيس وأعضاء مجلس النواب، ورئيس الوزراء عندما كان في رحلته الاستشفائية في تركيا.

- حينما وقع الانقلاب في سبتمبر 1969م كان الملك في رحلة إلى تركيا واليونان، ولم يكن معه مال خاص ينفق منه، ومع ذلك فحينما عرض عليه المسؤول المالي للرحلة استلام ما تبقى في عهدته من مخصصات رفض ذلك بعزة نفس وقال له: «يا بني أنا بالأمس كنت

ملك ليبيا، ولكني لم أعد كذلك اليوم، وبالتالي فإن هذا المال لم يعد من حقي، ويجب أن يسلم إلى خزينة الشعب».

- استقر الملك إدريس رحمه الله في مصر مدة حياته الأخيرة، ولم يغادر مصر إلا مرتين ذهب فيها إلى مكة للحج، وكانت وفاته في القاهرة بتاريخ 25 مايو 1983م وهو في سن الرابعة والتسعين.
- دفن الملك رحمه الله في المدينة المنورة وكان قد طلب من الملك خالد بن عبد العزيز في لقاء لهما بمراسم الحج سنة 1977م أن يأذن بدفنه متى حانت المنية في البقيع فكفل الملك خالد للملك إدريس رغبته رحمهما الله، ثم إن الملك فهد بن عبد العزيز أجاز ذلك بعد وفاة الملك خالد ونقل جثمانه من القاهرة إلى المدينة المنورة في طائرة مصرية خاصة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم مراجع ومصادر البحث

(أ)

1 - إمام التوحيد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الدعوة والدولة، تأليف، أحمد القطان، محمد الزين، مكتبة السندس، الكويت، الطبعة الثانية، 1988م.

2 - انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1984م.

3 - إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، للإمام محمد بن علي السنوسي، طبع مع المجموعة المختارة للإمام السنوسي، على نفقة محمد عبده بن غلبون وشقيقه هشام وعلي، في جامعة مانشستر، بريطانيا عام 1990م.

4 - الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، لمحمد صديق حسن القنوجي البخاري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1399هـ.

5 - أشراط الساعة، يوسف عبد الله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، 1411هـ/ 1991م.

6 - أعلام ليبيا، الطاهر أحمد، ط2، طرابلس، مؤسسة الفرجاني، 1971م.

7 - الأفعى في معاقل الإسلام، عبد الله التل، المكتب الإسلامي.

8 - إدريس السنوسي، لمحمد الطيب الأشهب، دار العهد الجديد للطباعة، لصاحبها كامل مصباح، الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة، بميدان الأزهر.

9 - أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 1407هـ.

10 - إيطاليا والسنوسية، يوسيرا فبريتز، ترجمة محمد السيد أبو مدين نسخة مخطوطة بشعبة الوثائق، مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي.

(ب)

11 - برقة العربية أمس واليوم، محمد الطيب بن أحمد إدريس الأشهب، مطبعة الهواري، شارع محمد علي بمصر.

12 - البحر الرائق في الزهد والرقائق، أحمد فريد، دار البخاري، القصيم بالسعودية، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م.

13 - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة بيروت.

14 - برقة الدولة العربية الثامنة، زيادة نقولا، بيروت طبعة عام 1950م.

15 - برقة الهادئة، الجنرال رود لفو غراسياني، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر، دار مكتبة الأندلس، الطبعة الثالثة، يناير 1980م.

(ت)

16 - تاريخ ليبيا المعاصر، محمود عامر، منشورات جامعة دمشق طبعة عام 1411 هـ، 1991م.

17 - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعل، تحقيق عبد العزيز غنيم، وحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البناء، مطبعة الشعب القاهرة بمصر.

18 - تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعدية بالرياض 1977م.

19 - تفسير الإمام البغوي، المسمى معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1413 هـ، 1992 م.

20 - التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد محمد يوسف، دار السلام بمصر، الطبعة الأولى 1418 هـ، 1997م.

21 - توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى 1413 هـ، 1992م.

22 - التواضع في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح للإمام محمد علي الشوكاني.

23 - تفسير المنار للعلامة محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

24 - تهذيب شرح الطحاوية، د. محمد صلاح الصاوي، دار الفرقان، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م.

25 - تاريخ الإسلام، أنور الجندي.

26 - التعليم في ليبيا خلال القرن التاسع عشر، عمر بن إسماعيل.

27 - تاريخ ليبيا، جون رايت، كتاب مصور، دار الفرجاني، طرابلس، الطبعة الأولى 1972م.

28 - تاريخ حرب طرابلس، محمد إبراهيم لطفي، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، بنها، 1946م.

29 - الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، د. جمعة الخولي، طبعة أولى 1407هـ/ 1986م، مطابع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

(ث)

30 - الثورة السنوسية أوكاوصن نشر المركز النيجيري للبحوث في العلوم الإنسانية، نيامي، 1973م، ترجمة عبد الرحمن عبد اللطيف، مخطوط صاحب الكتاب ساليفو أندري.

31 - الثبات، د. محمد بن حسن بن عقيل، دار الأندلس الخضراء بجدة، الطبعة الثانية 1417هـ/ 1997م.

(ج)

32 - جند الله تخطيطاً، سعيد حوى، دار السلام بمصر.
33 - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض 1403هـ/ 1983م.
34 - الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
35 - المجتمع الليبي، د. عبد الجليل الطاهر، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، طبعة عام 1969م.
36 - المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، د. علي عبد اللطيف حميده، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1995م.
37 - الجغرافيا السياسية لإفريقيا، د. فيليب رفلة، القاهرة عام 1965م.
38 - جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى، محمد القشاط، طبعة عام 1988م.
39 - جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، تحقيق: علي مصطفى المصراطي، دار لبنان، الطبعة الأولى، بيروت 1965م.
40 - جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، الطاهر أحمد الزاوي، ط3، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1962م.
41 - جريدة المقطم، عدد 6941، 9 صفر، عام 1330هـ.
42 - جريدة الأهرام، عدد 10613، في 21 صفر عام 1331هـ.
43 - جريدة المقتبس، عدد 1014، 5 ذو القعدة 1330هـ.
44 جذور النضال العربي في ليبيا، محمد عبد الرزاق مناع، ط2، بنغازي، عام 1972م.
45 - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، دار البيارق، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993م.

(ح)

46 - حاضر العالم الإسلامي، تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق: شكيب أرسلان، دار الفكر.
47 - حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، محمد جميل المصري، منشورات جامعة المدينة المنورة.
48 - الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي القحطاني، الطبعة الأولى، 1412 هـ، 1992م.
49 - الحكمة والموعظة الحسنة، د. أحمد سليمان المورعي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م.

50 - الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، أحمد الدجاني، الطبعة الأولى، 1967م، دار لبنان.

51 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

52 - حركة الجامعة الإسلامية، أحمد الشوابكة، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1984م/ 1404هـ.

53 - الحوليات الليبية، شار فيرو، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية، ووضع مقدمتها النقدية، محمد عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا.

54 - الحركة الوطنية شرق ليبيا، مصطفى هويدي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طبعة 1988م.

55 - حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني، د. عايض بن حزام الورقي، نشرته جامعة أم القرى طبعة عام 1416هـ/ 1996م.

56 - الحملة الإيطالية على ليبيا «دراسة وثائقية في إستراتيجية الاستعمار والعلاقات الدولية»، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1982م.

57 - حوليات كلية الآداب، الحولية الأولى، جامعة الكويت، قسم التاريخ، 1982م.

58 - حياة سليمان الباروني، لأبي القاسم الباروني.

59 - حياة عمر المختار، محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة 1982م/ 1402هـ.

(د)

60 - دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي، د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت طبعة أولى، عام 1403هـ، 1983م.

61 - دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة الهلال بمصر، طبعة عام 1898.

62 - دراسات في التاريخ اللوبي، مصطفى بعيو، القاهرة، 1945م.

63 - الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة في منشستر ببريطانيا عام 1990م على نفقة محمد عبده بن غليون، وشقيقيه هشام وعلي.

64 - دولة الموحدين، من سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، لعلي محمد محمد الصلابي، دار التابعين، مصر، القاهرة، طبعة أولى 2001م.

65 - الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، لعلي محمد محمد الصلابي، منشورات دار التابعين.

66 - ديوان الإمام الشافعي، تحقيق، محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة 1406 هـ، مكتبة المعارف.

67 - الدولة العبيدية في ليبيا، لعلي محمد الصلابي، دار البيارق، الطبعة الأولى 1418هـ/ 1998م.

68 - الدولة العربية المتحدة، أمين السعيد، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، عام 1938م.

(ذ)

69 - ذكريات عزام، الحلقة 8، مجلة المصورة، القاهرة عام 1332هـ/ 1950م.

(ر)

70 - رحلة الحشائشي إلى ليبيا، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، محمد عثمان الحشائشي التونسي، تحقيق علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، الطبعة الأولى 1965م.

71 - رحلة إلى صحراء إفريقيا الكبرى، صادق المؤيد العظم، إستانبول، عالم مطبعة سي 1314هـ.

72 - رمضان السويحلي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان، محمد مسعود فشيكه، دار الفرجاني، طرابلس - ليبيا، الطبعة الأولى 1394هـ/ 1974م.

73 - رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، لمحمد العيساوي، القاهرة، مطبعة حجازي، 1936م.

(س)

74 - سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه، عبد الكريم الخطيب، دار الأصالة، الطبعة الأولى 1405هـ، 1984م.

75 - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة 1405 هـ، 1985م، بيروت، دمشق.

76 - سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق عزت عبيد الدعاس، حمص، الناشر: محمد السيد.

77 - سياحتي في صحراء إفريقيا الكبرى، لصادق المؤيد، مطبعة سي، استانبول، عام 1314هـ.

78 - السنوسية دين ودولة، د. محمد فؤاد شكري، دار الفكر، طبعة 1948م.

79 - السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة منشستر عام 1990م.

80 - السيد محمد رشيد رضا، محمد أحمد درنيقة، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان طرابلس، لبنان، طبعة أولى 1406 هـ، 1986م.

81 - الإسلام في القرن العشرين، حاضره ومستقبله، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1969م.

82 - السنوسي الكبير، محمد الطيب بن إدريس الأشهب، مطبعة محمد عاطف، ميدان الخازندار بمصر.

83 - السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، تقديم وترجمة د. محمد حرب، دار القلم، الطبعة الثالثة، 1412هـ/ 1991م.

84 - السودان بين يدي غوردن وكتشنر، إبراهيم فوزي، الجزء الأول، 1319هـ.

85 - سنن ابن ماجة للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي.

86 - السنوسيون في برقة، بريتشارد إيفانز، ترجمة عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس مكتبة الفرجاني.

87 - سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.

88 - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1413هـ/ 1993م.

89 - سنن النسائي، أحمد بن شعيب، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(ش)

90 - شرح الحماسة للمرزوقي، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1387هـ/ 1967م.

91 - شرح النووي علي مسلم، للنووي ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

92 - شرح مقدمة أبي زيد القيرواني، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1991م.

93 - الشهيد، العدد الخامس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

94 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض السعودية.

(ص)

95 - صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار الطباعة العامرة باستانول 1315 هـ، المكتب الإسلامي، استانبول، تركيا.

96 - صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى 1412هـ/ 1991م.

97 - صحيح الجامع الصغير وزيادته، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1388هـ.
98 - صفحات خالدة من الجهاد، زعيمة الباروني، بيروت، 1968م.
99 - صلات بين ليبيا وتركيا «التاريخية والاجتماعية» طرابلس الغرب - ليبيا 1968م.
100 - صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصراتي، دار الكشاف، بيروت، 1960م.
101 - صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا، محمد عيسى، جامعة الكويت الحولية الأولى عام 1980م.
102 - صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي، علي محمد الصلّابي، دار البيارق عمان، الطبعة الأولى 1418هـ/ 1998.
103 - صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مصطفى بن حليم، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر، مطابع الأهرام التجارية قليوب، مصر.

(ط)

104 - الطريق إلى لوزان، الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالي لليبيا، ط1، 1398هـ/ 1978م، محمد عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا.
105 - الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، 1981م.

(ع)

106 - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمٰن الجبرتي، دار فاس.
107 - عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، عبد المحسن العباد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1402هـ.
108 - العلاقات الليبية التشادية، سعيد عبد الرحمن، مركز دراسات الجهاد الليبي.
109 - العدوان الحرب بين إيطاليا وتركيا، مكتبة الفرجاني عام 1965م، محمد مصطفى بازامة.
110 - عبد النبي بالخير، داهية السياسة وفارس الجهاد، محمد المرزوقي، الدار العربية للكتاب، عام 1398هـ/ 1978م.
111 - الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت، الطبعة الثالثة 1389هـ.
112 - عمر المختار نشأته وجهاده من 1862م إلى 1931م دراسات في حركة الجهاد الليبي، أعمال الندوة العلمية التي عقدها مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي بمناسبة الذكرى الخمسين لاستشهاد عمر المختار، إشراف الدكتور عقيل محمد البربار، كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس.
113 - عمر المختار، لمحمد الطيب الأشهب، سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا.
114 - الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، طبعة 1986م.

(غ)

115 - الغزو الإيطالي لليبيا، عبد المنصف حافظ البوري، الدار العربية للكتاب، طبعة 1983م.

(ف)

116 - فقه التمكين في القرآن الكريم، لعلي بن محمد الصلابي، دار التابعين، 2001م.

117 - في تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين، د. رأفت الشيخ، دار الثقافة، طبعة 1412هـ/ 1992م.

118 - الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية، عبد القادر بن عبد الملك بن علي، مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق، عام 1386هـ/ 1966م.

119 - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشرق.

(ق)

120 - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1399هـ/ 1979م.

121 - قضية ليبيا، محمود الشنيطي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1951.

122 - قادة فتح بلاد المغرب، محمود خطاب، الطبعة السابعة، عام 1404هـ/ 1984، دار الفكر.

123 - قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، طبعة 1405هـ/ 1985م.

124 - قواعد التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى 1415هـ/ 1994.

(ك)

125 - كتب في الساحة الإسلامية، عائض القرني، دار العميعي ط، 1412هـ.

126 - كفاح الشعب الليبي في سبيل حريته، عبد الرحمن عزام، ترجمة عماد غانم (مخطوطة محفوظة بمركز الجهاد).

127 - كفاح الليبيين في بلاد الشام، تيسير بن موسى.

(ل)

128 - ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835 - 1911م) ترجمة يوسف العسلي، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1946م.

129 - ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي، أحمد الدجاني.

130 - ليبيا اليوم، محمد الطيب الأشهب، بغداد، مطبعة أسعد، عام 1955م.

131 - ليبيا في العصور الحديثة، نقولا زيادة، القاهرة، دار الرائد للطباعة، 1966م.

132 - ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، د. نقولا زيادة، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، طبعة عام 1958م.

133 - ليبيا الحديثة، مجيدي خدوري، ترجمة د. نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت.

(م)

134 - موسوعة التاريخ الإسلامي، محمود شاكر.

135 - موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة العاشرة 1995م.

136 - مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر لبنان.

137 - مقدمة الإمام مالك، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة في منشستر عام 1990 على نفقة ابن غلبون.

138 - المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعة في منشستر عام 1990م على نفقة آل ابن غلبون.

139 - مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمٰن القاسم، بيروت، ط1390هـ/ 1971م.

140 - المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الرابعة، 1408هـ/ 1988م.

141 - الإمام البخاري، تقي الدين الندوي المظاهري، الطبعة الثالثة 1408هـ/ 1988م، دار القلم، بيروت، دمشق.

142 - مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1419هـ/ 1998م.

143 - الموطأ: الإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة.

144 - المسائل العشر، للإمام محمد بن علي السنوسي، ضمن المجموعة المختارة للإمام السنوسي، طبعت بمنشستر ببريطانيا، عام 1990م على نفقة آل ابن غلبون.

145 - الملك إدريس عاهل ليبيا، تأليف دي كاندول، ترجمة ليبي، الناشر محمد عبده ابن غلبون.

146 - المهدي السنوسي، محمد الطيب الأشهب، مطبعة بلينوماجي، طرابلس.

147 - منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور عبد الحفيظ سويد، مؤسسة الريان، الطبعة الخامسة، 1414هـ - 1994م، الناشر مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

148 - المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، طبع مكتب المطبوعات الإسلامية، جمعية التعليم الشرعي، حلب، 1390هـ.
149 - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون.
150 - مسند الإمام أحمد بن محمد حنبل.
151 - مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، يناير 1979م.
152 - المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العباسية، محمود ثابت الشاذلي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 1409هـ/ 1989م.
153 - مجلة المنار، محمد رشيد رضا، المجلد الثاني عشر.
154 - المغرب الكبير، د. جلال يحيى، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة عام 1981م.
155 - مذكرات الضباط الأتراك حول معركة ليبيا، أورخان قول أوغلو، ترجمة وجدي كدك، مراجعة د. عماد حاتم، منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، سلسلة المذكرات التاريخية، طبعة عام 1979م.
156 - ميلاد دولة ليبيا، محمد فؤاد شكري، مطبعة الاعتماد، القاهرة، عام 1957م.
157 - المغني لابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قادمة (موفق الدين، أبو محمد) على مختصر الخِرَقي ومعه الشرح الكبير على متن المقنع عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت 1392هـ/ 1972م.
158 - المهذب، في فقه مذاهب الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي - معه بأسفل الصفحة: النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، محمد بن أحمد بن بطال الركبي، مطبعة عيسى الباب الحلبي.
159 - مجلة الإنقاذ تصدر عن الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، العدد 29.
160 - معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911م - 1931م، ط3، خليفة محمد التليبي، دار الثقافة 1973م.
161 - مذكرات مجاهد، محمود الجهني.
162 - مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السادسة عام 1984م.
163 - مجلة البيان، العدد الخامس عشر، ربيع الثاني، 1988م.
164 - مجلة المنار، ج9، م3.
165 - منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1986م.

166 - محطات من تاريخ ليبيا المعاصر، مذكرات محمد عثمان الصيد، إخراج طوب للاستثمار والخدمات، الرباط بالمغرب، الطبعة الأولى 1996م.

(ن)

167 - الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، تأليف علي بن نجيب الزهراني، دار طيبة مكة، دار آل عمار الشارقة، الطبعة الثانية 1418هـ/ 1998م.

168 - النجوم الزاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1391هـ/ 1971م.

169 - (النهاية، الفتن، الملاحم) للحافظ إسماعيل بن كثير، د. طه زيني، دار النصر للطباعة، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الأولى.

170 - نظم المتناثر في الحديث المتواتر، للشيخ جعفر الحسني الإدريسي الكتاني، دار الكتب العلمكية، بيروت، 1400هـ.

171 - نشأة الحركة العربية الحديثة، محمد عزة.

172 - نونية القحطاني، لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي، الطبعة الثالثة 1410هـ/ 1989م مكتبة السوداي للتوزيع.

173 - النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان - الأردن، الطبعة الثانية 1407هـ 1986م.

(و)

174 - واقعنا المعاصر، محمد قطب، الطبعة الثانية، 1408هـ/ 1988م، مؤسسة المدينة المنورة.

175 - وجوب التعاون بين المسلمين، عبد الرحمن السعدي، المعارف، الرياض، طبعة 1402هـ.

176 - وثائق جمعية عمر المختار، محمد بشير المغيربي، مؤسسة دار الهلال، الطبعة الأولى يناير 1993م.